الرق في الاسلام

الفه باللغة الفرنساوية

احمد شفيق بك

السكرتير الخصوصي لسعادة ناظر الخارجية

الحائز للدپلوم من مدرسة العلوم السياسية ومن مدرسة الحقوق العليا بباريس واحد اعضاء جملة جمعيات علمية بفرانسا والمانيا

وترجمه الى اللغة العربية

ثم حلاه بحواش علمية وفوائد تاريخية جغرافية

احمد زكى

مترجم مجلس النظار

الحائز لدپلوم العلوم الحقوقية واحد اعضاء الجمعية الجغرافية الخديوية واستاذ اللغة العربية فى الارسالية العلمية الفرنساوية بمصر ومدرس الترجمة فى المدرسة الخديوية

التزم طبعه

حضرة الوطني الغيور محمود افندي انيس

الطبعة الأولى

بالمطبعة الاهلية الاميرية ببولاق مصر المحمية
سنة ١٣٠٩ هجرية — سنة ١٨٩٢ ميلادية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وصحبه وأهله ونسله والمقتدين بسنته من ذوى ملته فى قوله وفعله

(وبعد) فان الكردينال لافيجرى قد طبق الارض ذكره واشتهر فى الخافقين أمره وجرت على لسان البرق خطاباته واستفاضت فى الجرائد والصحائف كتاباته لانه تصدى كما يقول للاخذ بناصر الارقاء ولكنه تطرف وتغالى فقادته الغاية العمياء الى الطعن على الديانة الحنيفية الغراء فعدل عن واجب الاعتدال فى جادة الجدال ولذلك انبرى للرد عليه كثيرون من خلفاء هذا الدين المبين وأتوه بالنبأ اليقين ولكن الذى فاز بقصب السبق فى هذا المضمار وحاز الفضل والفخار هو حضرة المحقق البارع أحمد بك شفيق

كاتم أسرار سعادة ناظر الخارجية المصرية فانه أجاد فى الكلام على الرق عند جميع الامم وفى جميع الاديان ثم انتقل من هذه التوطئة الى بيان الاسترقاق فى الاسلام ليظهر فضل الدين المحمدى فى هذا المقام فينجلى الصبح لذى عينين اذ بضدها تتميز الاشياء وحينئذ يحكم العاقل الخبير والناقد البصير بأن جناب الكردينال جنح الى الاعتداء بدلا من الاعتدال ولما أتم المؤلف هذه الرسالة خطب بها على الجمعية الجغرافية الخديوية فى جلسات متوالية ونالت من الاعجاب والاستحسان ما نالت ولذلك طلب الى كثير من الكبراء وأهل الفضل أن أنقلها الى اللغة العربية ليعم نفعها وتكمل فائدتها فرجوت حضرة مؤلفها أن يجعل لى قسطا من الفضل فى هذا العمل فتفضل بالاجابة فاستخرت الله فى هذه الخدمة الوطنية غيرة على هذا الدين القويم وشمرت عن ساعد الاجتهاد فعربتها بغاية العناية حتى جاءت بحمد الله تعالى مثالا للترجمة التى يحافظ فيها على المعنى تمام المحافظة مع مراعاة القواعد الانشائية العربية والاساليب القولية الكلامية التى تجعلها أهلا للقبول عند الناطقين بالضاد فى جميع البلاد ثم حليتها بفوائد علمية وحواش تاريخية جغرافية لكى يكون المطلع عليها فى غنى عن الرجوع الى غيرها مما يدخل فى دائرة بحثها وقد راجعت الاصول وأمهات الكتب فنقلت منها الاحاديث الشريفة بشرح بعضها

وكذلك فعلت ببعض الآيات القرآنية الكريمة وأكملت القصص والحوادث التاريخية من مصادرها المعول عليها الموثوق بها * وفوق ذلك فقد لاحظت بنفسي طبع هذه الرسالة على هذا الشكل الفائق الانيق والاسلوب الشائق الرقيق فزجت بين الحروف المختلفة المقدار كلما رأيت ذلك واجبا لتنبيه القرّاء واستلفات الانظار وفصلت الفقرات عن بعضها فصلا يسهل به التمييز بين المواضيع جاريا في ذلك على النمط الذى اصطلح عليه أهل أوربا من اتقان الطبع واحكام الوضع

احمد زكى

فاتحة الكتاب

اتفق لى فى أول يوليو سنة ١٨٨٨ أن حضرت بكنيسة (١) سان سولپيس (٢)

---

(١) الكنيسة ليس لها اشتقاق فى اللغة قيل انها لفظة عربية وقيل انها معرب كنشت وقيل ان العرب لفظة أخذوها عن الروم وهى قُلَّيْس أو قُلَيْس أو قَلِّيس وانها كنيسة بناها أبرهة على باب صنعاء على ما قاله ياقوت قالوا ومن المحتمل أن كنيسة تحريف لفظ قليس أقول ويشهد لهذا الاحتمال أن اسمها بالتركية كليسة وربما كانت منها القلاية التى هى صومعة الراهب عند الاقباط وانها فى الفرنساوية اجليز وفى انتليانية كييزا وهى عند الافرنج مشتقة من لفظة يونانية (اكليزيا) معناها الاجتماع والكنيسة فى أيامنا هذه تُعلم على مُتَعَبَّد النصارى والكنيس على متعبد اليهود اه مترجم

(٢) هى من أشهر العمائر بباريس فى خط سان جرمان مضى عليها زمان طويل حتى أمكن اتمامها فانها كانت موجودة فى القرن الثانى عشر ثم دعت الحال لتوسيعها فى القرن السادس عشر ثم اضطر القوم لاعادة بنائها كله فوضع الحجر الاول منها فى سنة ١٦٤٦ ولكنهم رأوا تغيير التصميم حتى تكون فسيحة ولم تتم بنايتها الا فى سنة ١٧٤٩ بواسطة اجتهاد القسوس وتبرع أهل الخير والمال الكثير الذى تحصل من يانصيب (لوتريه) فتحوه لاجل هذا الغرض وفى أيام الثورة الفرنساوية أطلق عليها اسم « هيكل الانتصار » وقد أولمت فيها وليمة عظيمة للجنرال بونابرت بعد عودته من مصر وهى الآن أكبر محل لتخريج القسس وتعليم الرهبان اه مترجم

فى مدينة باريس وسمعت نيافة (٣) الكردينال (٤) لافيجرى (٥) وهو يخطب بها على أهل تلك المدينة ويصف فظائع النخاسة بافريقية الوسطى و يسوق لهم الحديث على الاسترقاق وبشاعته فى البلاد الاسلامية ولم يكتف نيافته بادانة المتدينين بالدين المحمدى بهذا الامر بل نسب قبائحه الى نصوص الشريعة التى جاء بها النبى عليه الصلاة والسلام

ولما كانت هذه التهم لا أساس لها ولا برهان ينهض عليها وقد بثها

---

(٣) نيافة تعريب اصطلح عليه العيسويون للفظة *Éminence* وهو لقب افتخارى خاص بالكرادلة (جمع كردينال) منحهم اياه البابا أوربانوس الثامن بمرسوم أى منشور أى تقليد (دكريتو) أصدره فى ١٠ ينايرسنة ١٦٣٠ وفى نيافة معنى الارتفاع والارتقاء يقال جبل عالى المناف أى المرتقى وذلك موافق لمعنى اللفظة الافرنجية اه مترجم

(٤) الكردينال معرب وهو أحد السبعين حبرا الذين تتألف منهم الدائرة المقدسة التى تجتمع لانتخاب البابا وفى أثناء اجتماعهم لا يكون لهم أدنى علاقة أو أقل مواصلة مع الخارج وكان مبدأ هذه العادة فى سنة ١٢٧٠ فان البابا اكليمنضس الرابع توفى سنة ١٢٦٨ ولم يتفق الكرادلة على تعيين خلفه الى سنة ١٢٧٠ حتى تعبت الامة من هذا التوانى فحجزتهم كلهم فى محل اجتماعهم الى أن انتخبوا واحدا منهم للجلوس على كرسى البابوية اه مترجم

(٥) أما الكردينال لافيجرى فنكتفى بضبط اسمه الآن فقد رأيت كثيرا من الناس ينطقون به على كيفيات مختلفة أغلبها بعيد عن الصحة فهو لام بعدها ألف ثم فاء فارسية قريبة المخرج من الواو بعدها ياء ثم جيم فارسية ساكنة فراء مكسورة بعدها ياء ساكنة وسنأتى على ترجمة حاله فى آخر الرسالة اه مترجم

فى لوندرة وبروسل(*) دعانى حب الحقيقة الى البحث عن هذا الموضوع فى الكتب الدينية المعتبرة لدينا المعول عليها عندنا فأتاح لى الجد بفضله تعالى اقامة الحجة وايراد الدليل على أن القرآن الشريف فوق كونه لم يعتبر الرقيق بمنزلة الحيوان فقد جاء بكثير من النصوص والوصايا التى تفرض على المسلمين أن يحسنوا رعايته والعناية بشأنه وأن تكون معاملتهم له بالحسنى والمرحمة وهو أمر يجهله الى الآن عامة الاوروباويين حتى القاطنين منهم بديار المشرق اللهم الا ما ندر فانه بديهى أن مجرد السكنى فى بلد من البلاد لا يوقف الانسان تمام الايقاف على كنه شرائعها بل يعوزه أيضا أن يكون عارفا حق المعرفة بلغة أهليها ولا ريب فى أن علماء المشرقيات المتوفرة فيهم هذه الصفات هم أقل من القليل

والتمس فى وجه الله الكريم أن يجعل نتيجة بحثى تميط اللثام عن حقيقة هذه المسألة الخطيرة التى كثر اهتمام الحكومات والافراد بها فى هذه الايام

(*) جاء فى رسالة مدرجة بجريدة الاندبيندنس بلج (الاستقلال البلجيكى) الصادرة فى بروسل بتاريخ ١٦ اغسطس سنة ١٨٨٨ كلام على خطابة ألقاها الكردينال لافيجرى قال صاحبه « ان الخطيب .... لم يقدر على الامتناع عن المجاهرة بأن المسلمين يرون أن اصطياد الرقيق حق لهم يكاد يكون واجبا عليهم وهو حق لهم لانهم يعتقدون ويقولون بأن الاسود ليس من العائلة البشرية وأنه متوسط بين الانسان والحيوان بل ان بعضهم يرونه أدنى من الحيوان مقاما » مؤلف

(الرق فى الاسلام)

قبل الخوض فى هذا الموضوع ينبغى لنا أن نأتى بالايجاز وبوجه العموم على ذكر الاسترقاق عند الامم المختلفة فنقول

الرق هو حرمان الشخص من حريته الطبيعية وصيرورته ملكا للغير (٦)

قالوا ان الاسترقاق ظهر منذ كان الاجتماع الانسانى وهو قول فى غاية الاصابة والسداد فانه ظهر حقيقة عند ماوقعت الاجتماعات البشرية الاولى أيام كان حجاب الجهالة مسدولا على عالم الفطرة والذى أوجب حصول هذا الفعل هو أمر يسهل بسطه وايراده وذلك أنه لما كان العمل من أصعب الضرورات وأشقاها أخذ الانسان فى البحث عما يخلصه من عنائه ومكابدته فاذا بطلبته بين يديه عند الهيئة الاجتماعية فان القوى ألزم الضعيف بالاشتغال ومن ذلك نشأ الاسترقاق

ثم جاءت الحروب وتولدت الاطماع فبثت الاسترقاق فى جميع أجزاء العالم وعند معظم الامم وصار الناس لايقتلون العدو بل يبقون عليه ليعمل لهم هذا واعلم أن طبيعة الاقليم وهى من أقوى العوامل

---

(٦) هذا هو حده عند الافرنج وقال فى التعريفات الرق فى اللغة الضعف ومنه رقة القلب وفى عرف الفقهاء عبارة عن عجز حكمى شرع فى الاصل جزاء عن الكفر أما انه عجز فلانه لايملك مايملكه الحر من الشهادة والقضاء وغيرهما وأما انه حكمى فلان العبد قد يكون أقوى فى الاعمال من الحر حسا اه مترجم

فى إنماء الجمعيات البشرية كان لها تأثير عظيم فى زيادة الاسترقاق واتساع نطاقه حتى انه مالبث ان بلغ عند الامم التى على البساطة والفطرة فى جميع بلاد المشرق مبلغا عظيما ودرجة قاصية وانتشارا زائدا فان ثمن الرقيق كان زهيدا وعمله مفيدا بالنظر الى ماصارت اليه الصناعة والتجارة من التقدم والاهمية ولقد كان الحال على خلاف هذا المنوال عند أمم الشمال فان تغذية الرقيق عندهم كانت تكلفهم مصرفا جسيما ولم يكن لعمله كبير جدوى ولا فائدة فلهذا كان الاسترقاق فى بلاد الشمال منذ العصور الخوالى أقل انتشارا منه فى جهات الجنوب من المعمورة وهذا يدلنا على أن الاسترقاق هو من الامور الاقتصادية التدبيرية المترتبة على العمل والاشتغال

ولنبحث الآن فى حالة الرقيق عند الأمم المختلفة واحدة واحدة

الباب الاول

﴿ الاسترقاق فى الازمان القديمة ﴾

(الفرع الاول)

(الاسترقاق عند قدماء المصريين)

كان الرقيق فى مصر عبارة عن آلة للعمل وكان أيضا من الاشياء المعدة لمشاهد الزينة ومظاهر الأبهة فكان الارقاء بقصور الملوك وبيت الكهان ودار المقاتلين ثم ان الفاقة جعلت لسائر الافراد سبيلا الى امتلاك الارقاء أيضا وكان الاسترقاق عبارة عن الحق فى اعدام الحياة والابقاء عليها وكان الاسارى على العموم أرقاء للدولة يقومون بالاعمال والاشغال التى تستلزمها حاجات القطر أو التى تدعو اليها موجبات زخرفته وتحسين هيئته وفيما عدا هذه التشديدات الخاصة بالاستخدام فى الصالح العام قد تحسنت حالة الرقيق وتلطفت كثيرا فكان يجوز رفع الأمة الى مقام الزوجة ثم ان الاخلاق والعادات كانت تقضى بالشفقة على الرقيق والدفاع عنه بل ان الشريعة كانت تجعل حوله سياجا يقيه من البغى والاذى فقد نصت على أن من قتل الرقيق يقتل فيه (٧)

---

(٧) وكذلك الديانة فقد تقرر بها أن الميت عند محاسبته أمام محكمة أزيرس يشهد على نفسه فى خلال تنصله بأنه لم يسع فى ضرر العبد عند مولاه (انظر تاريخ المشرق لماسبيرو وقد أخذت فى ترجمته بناء على طلب نظارة المعارف للتدريس له فى مدارس الحكومة وسيطبع قريبا ان شاء الله) اه مترجم

(الفرع الثانى)

﴿ الاسترقاق عند الهنود ﴾

قد حددت شريعة مانو (٨) بطريقة شرعية دينية درجة السودرا (هو الرجل من الطبقة الدنيئة المستخدمة) مع البرهمى بل ومع سائر الناس فقد ورد بها « أنه اذا اشترى البرهمى رجلا سودرا بل واذا لم يشتره فانه يجوز له أن يجبره على خدمته بصفة كونه رقيقا (دازا) لان مثل هذا الانسان ماخلقه واجب الوجود الا ليخدم البراهمة »

ثم ان السودرا وان أطلق سيده سراحه لاتفارقه صفة الخدمة لانه من ذا الذى يمكنه أن يزيل عنه حالة طبيعية مرتبطة به

ثم قيل فى تلك الشريعة

---

(٨) مانو هو مشرع هندى ينسبون اليه وضع مجموع شرائع مشهور وهو أقدم المجاميع المعروفة من هذا القبيل واسمه بلغتهم (مانافا ذارما ساسترا) أى مجموع شرائع مانو وهو كتاب واف فى علم الاخلاق وفى الشرائع منظوم باللغة السنسكريتية وقد ترجم الى اللغة الانجليزية وطبع فى كلكته سنة ١٧٩٤ وفى لوندرة سنة ١٧٩٦ ثم ترجم الى الفرنساوية وطبع من سنة ١٨٣٢ الى سنة ١٨٣٣ فى باريس ويقولون انه ابن برهمة وانه الانسان الاول وأما الوقت الذى كان عائشا فيه فهو مجهول ومع ذلك فان مجموع القوانين المنسوب له هو متأخر على الفيدا (أقدم وأقدس كتاب عند الهنود) وقد رأى بعضهم فى مشابهة الاسماء أن مانو هذا هو نفس منا أو مينيس أول ملوك مصر ومينوس ملك اقريطش (جزيرة كريد) ومشرعها اهـ مترجم

« اذا اضطهد السودرا أحـد البراهمة فلا مندوحة عن قتله البتة ـ واذا وجه رجل من الطبقة الدنيئة سبابا فاحشا الى أحد الدويدياس (أى أولئك الذين تتألف منهم الطبقات العليا الثلاث وهم البراهمة وكشاترياس وفيزياس) فجزاؤه سل لسانه لانه ناتج من القسم الاسفل من برهمة ـ واذا ذكر أحدهم باسمه وبطبقته على هيئـة يؤخـذ منها الازدراء فجزاؤه أن يوضع فى فـمه خنجر طوله عشرة أصابع بعـد احمائه بالنار احماء شـديدا ـ فاذا ساقه عدم الحزم وقلة التبصر الى بذل النصائح والمواعظ للبراهمة فيما يتعلق بواجباتهم فعلى للملك أن يأمر بوضع الزيت المغلى فى فيه وفى أذنه ـ اذا سرق البرهمى من السودرا عوقب بالغرامـة. أما اذا سرق السودرا من البرهمى فجزاؤه أن يحرق ـ واذا تجاسر السودرا على ضرب أحد القضاة فليعلق بسَفُّود (٩) وليشوَ حيا فاذا ارتكب البرهمى مثل هذه الجريمة فليغرم »

وقد تقرر فى الشرائع البرهمية تقسيم جميع الاشخاص المُلْتَزَمين بالخدمة الى قسمين وهما الخادمون والارقاء فالاعمال الطاهرة من خصائص الخادمين والاعمال النجسة على عواتق الارقاء

---

(٩) السفود كتنور ويضم وهو حـديدة يشوى بها اللحم (وهو المعروف بالسيخ) وجمعه سفافيد وسفد اللحم نظمه فى السفود للاشتواء اه مترجم

(الفرع الثالث)

(في الاسترقاق عند الآشوريين والامم الايرانية)

من نظر الى تاريخ مملكة آشور (١٠) في الاحقاب السوالف علم أن الاسترقاق كان عريقا بها متأصلا فيها فقد كانت القصور مختصة بالنساء والارقاء المخصصين للجمال والزينة

أما مملكة الفرس التي امتد سلطانها الى حدود آسيا المعروفة في وقتها فقد استجمعت جميع أنواع الاستخدام المعروفة عند كثير من الامم المختلفة فكان فيها الارقاء الرعاة والارقاء الخاصون بحاجات الزينة والثروة واليسار وكان في معبد أنايتس (١١) بارمينيا وهيكل

---

(١٠) اسمها بالفرنساوية *Assyrie* وقد وردت في الكتب العربية القديمة المعتبرة مثل مروج الذهب ومختصر الدول وطبقات الاطباء وغيرهما آثور بالثاء وجاءت في التوراة اشور بتشديد الشين اه مترجم

(١١) وهي إلهة تسمى أيضاً أناهيد كان الليديون والارمن والفرس يعبدونها وقد شبهها اليونان تارة بالآلهة ديان (إلهة الصيد) وتارة بالزُّهَرَة (إلهة الجمال التي تولدت من زبد البحر) وكانوا يحتفلون بموسمها بارمينية في كل ستة شهور وكان الكهنة يزفون تمثالها ويرقصون حوله شاكي السلاح ويجتمع الاهالي وتأخذهم السورة الدينية مأخذها حتى اذا تملكهم السرور وتولاهم الابتهاج خلعوا العذار وارتكبوا أعمالا فاحشة مستنكرة من غير أن يكون لهم من الحياء رادع وكانوا يتقربون اليها ببنات أبكار يرين في بذل عرضهن وهتك حجابهن تزلفا اليها اه مترجم

كومانة بكبدوكية (١٢) أرقاء قد أعدوا لعمل الخبائث المستقبحة المنكرة التى قضت بها خرافات القوم

وقد أوجد العرف والاصطلاح فى بعض البلاد أوقات للارقاء يتفرغون فيها لانفسهم طلبا للراحة بل قد اجتهد واضعوا الشرائع عندهم فى تقليل إجحاف الموالى بمواليهم وتخفيف وطأة مظالمهم عليهم قال هيرودوت (١٣) « لايجوز لاى فارسى أن يعاقب عبده على

---

(١٢) كومانة (واسمها الآن البستان) هى احدى مدائن كبدوكية على نهر ميلاس (الذى هو الآن نهر قره صو ولفظة ميلاس معناها الاسود وقره بالتركية معناها كذلك أيضا) كان يحكم هذه المدينة كاهن بصفة ملك ويقيم فى هيكل به ٦٠٠٠ آلاف قسيس وكان هذا الرئيس ينتخب من العائلة الملوكية بكبدوكية وكانت الآلهة المعبودة فى هذا الهيكل هى التى يسميها الرومان بيلونه آلهة الحرب وربما كانت هى نفس آنايتس الارمينية وكبدوكية اسم مملكة قديمة صغيرة مستقلة من بلاد آسيا الصغرى وهى فى الجهة الشرقية على حدود أرمينيه وسوريه اه مترجم

(١٣) مؤرخ يونانى شهير يلقب بابى التاريخ ولد فى سنة ٤٨٤ ق م وساح فى شبيبته ببلاد اليونان ومصر وآسيا ليقف على أنباء الامم وعاداتها ولما عاد وجد الظلم ضاربا أطنابه فى وطنه فاضطر لان ينزح الى ساموس ولكنه رجع الى بلده بعد قليل وكسر شوكة الطاغية وقلبه قلبا لارجوع له بعده ولكن بنى وطنه لم يعرفوا له هذا الجميل نبارحهم وأخذ فى كتابة تاريخه وقد تلاه على اليونانيين وهم مجتمعون فى احد الالعاب العمومية المعروفة عندهم فصادف نجاحا تاما حتى انهم كافؤوه بمبلغ عشر وزنات ذهبا (٥٤٠٠٠ فرنك أى ٢٠٧٧ جنيها مصريا تقريبا) ثم اعتكف فى بلاد ايطاليا ومات بها طاعنا فى السن فى سنة ٤٠٦ ق م وتاريخه عبارة عن سبعة كتب موضوعها حروب اليونان مع الفرس والماديين وتكلم فى مقدمته على تاريخ الماديين والفرس والمصريين وجملة امم أخرى

ذنب واحد قد اقترفه بعقاب بالغ فى الشدّة والصرامة » ولكن اذا عاد العبد لارتكاب هذا الذنب بعد ما أصابه من العقاب فلمولاه حينئذ أن يعدمه الحياة أو أن يعاقبه بجميع مايتصوّر من أنواع العذاب

(الفرع الرابع)

﴿فى الاسترقاق عند الصينيين﴾

قد أرخت الايام سدالها وألقت الليالى ستارها على مبدأ ظهور الاستعباد بهاتيك البلاد (١٤) فلقد كان الاستخدام للمنفعة العمومية موجودا بها قبل التاريخ المسيحى بأجيال طوال يقوم به المحكوم عليهم والاسارى ثم امتزجت أخلاق القوم بهذه العادة فاستعملوا الاسترقاق وكانوا يجلبون الرقيق من الخارج أو يأخذونهم من ذات

وهو يعتبر أصدق مؤرخى السلف على مافيه من السذاجة وكثرة التصديق لكل مايلقى اليه والبحث على الامور العجيبة الخارقة للعادة ولكنه يرويها على سبيل أقاويل وينسبون اليه ترجمة حياة هوميروس الشاعر الطائر الصيت وهى ليست له ولكنها قديمة جدا وقد ترجم كتابه الى أغلب لغات أوروبا والى اللغة العربية أيضا واسمه فى الكتب القديمة هيرودطس اه مترجم

(١٤) هذا أصلها الفرنساوى *L'origine de l'esclavage enChine se perd dans la nuit des temps* ولكونى تعبت كثيرا فى وضعها فى قالب عربى يوافق الذوق الافرنجى ولا تنفر منه أذن العربى فقد أحببت وضع الاصل هنا حتى يكون نبراسا للغير. ويكفيهم مؤنة البحث والعناء لان هذه الاستعارة الفرنساوية كثيرة الاستعمال جدا عند الافرنج اه مترجم

الصين كما كانت تفعل الدولة نفسها أما من الخارج فبواسطة الحروب والاسلاب اذ كانوا يوزعون الغنائم من أناس وأشياء على كبار الضباط أو يأتون بأثمانهم لخزينة الدولة وأما فى نفس البلد فبسبب الفاقة والاحتياج لان الفقير كان يضطر لبيع نفسه أو لبيع أولاده

فكان هنالك عائلات مستعبدة بسبب الشدة وأرقاء قد بيعوا بالثمن وكان للمولى على رقيقة التصرف المطلق ببيعه كما اشتراه بل وببيع أولاده

والظاهر أن الاسترقاق كان فى بلاد الصين قليل الشدة والصعوبة فان الشرائع والعرف والاخلاق كانت تساعد على تلطيف حاله فقد أصدر الامبراطور كوانجون (وهو الذى كان عائشا بعد المسيح بخمسة وثلاثين سنة) أمرين اثنين بوقاية حياة الرقيق وشخصه ضمنهما عبارات تشف عن كمال المروءة وتشعر بمقام الانسانية ودرجتها العالية فقد قيل فيهما « ان الانسان هو أفضل وأشرف المخلوقات التى فى السماء والتى على الارض فمن قتل رقيقه فليس له من سبيل فى اخفاء جرمه ومن أخذت به الجراءة فكوى رقيقه بالنار حوكم على ذلك بمقتضى الشريعة ومن كواه سيده بالنار دخل فى عداد الوطنيين الاحرار » ولقد كان بعض الارقاء يصادفه الحظ ويقبل عليه الدهر

فتسمو به المناصب الى أن يكون موضع الثقة من مولاه بل ويجد
فى بعض المكاسب طريقة ينال بها حريته و يتخلص من ربقة الرق
ولهذا كان الاسترقاق قليلا عند أمة الصينيين التى امتازت بجودة
الفطانة وسلامة الفكرواصالة الرأى

(الفرع الخامس)

(فى الاسترقاق عند العبرانيين)

وجد الاسترقاق عند هذه الامة منذ الازمان القديمة جدا
وكان الارقاء فى زمن أنبياء بنى اسرائيل معدودين من أصول الثروة
وأسباب الغنى عند أولئك الرؤساء الذين كان دأبهم الحل والترحال
والضرب فى أطراف البلاد وكان مقام الارقاء كمقام الماشية ولكن
كما أن صاحب الدابة لايرضى بتحميلها فوق طاقتها وكما أن صاحب
الناقة لايجهدها أكثر مما فى استطاعتها كذلك كان شأن السيد
الحكيم المتبصر فانه ما كان يلزم رقيقه بعمل يزيد عن الحد وكان
للارقاء عندهم بعض الحقوق فكان لهم أن يستريحوا سبعة أسابيع
فى السنة ولا يجوز للرجل أن يضرب عبده ضربا مزهقا ومن فعل
ذلك أوخذ بعقاب فيه بعض الشدة وكذلك من بتر الرقيق أوكسر
له عضوا أو سنا ولهذا يصح القول بأن العبرانيين كانوا يعاملون الارقاء
معاملتهم أنفسهم وكان كثيرا مايتفق للمولى أن يميز احدى امائه

فيتخذها حليلة له بل الاغرب من ذلك أن العبد الذكر كان يتاح له فى بعض الاحيان أن يتزوج بنت مولاه وذلك حينما لا يكون للولى أولاد ذكور وفوق ذلك فان العبرانيين كانوا يتسرّون غالبا بجواريهم

وخلاصة القول أن الاسترقاق عند العبرانيين وعند غيرهم من سائر أمم المشرق كان مقرونا بالتلطف والتعطف اللذين لا يرى لهما مثيل فى بلاد اليونان ولا فى مدينة رومة وفضلا عن ذلك فقد ورد بشريعة سيدنا موسى عليه السلام أن العبد اذا استحق القصاص فلا يصدر الحكم عليه الا من القاضى دون سواه فكان فى ذلك احتياط دقيق ورحمة بأولئك المساكين لئلا يكونوا عرضة لقساوة الموالى وغرضا لسهام أهوائهم (١٥)

---

(١٥) جاء فى الاصحاح الحادى والعشرين من سفر الخروج مانصه اذا ابتعت عبدا عبرانيا فليخدمك ست سنين وفى السابعة يخرج حرا مجانا وان دخل وحده فليخرج وحده وان كان ذا زوج فليخرج زوجه معه وان زوجه مولاه بمرأة فولدت له بنين أو بنات فالمرأة وأولادها يكونون لمولاه وهو يخرج وحده وان قال العبد قد أحببت مولاى وزوجى وبنىّ لا أخرج حرا يقدمه مولاه الى الالهة الى مصراع الباب أو قائمته ويثقب مولاه اذنه فيخدمه الى الدهر وان باع رجل ابنته أمة فلا تخرج خروج العبيد وان كرهها مولاها الذى خطبها لنفسه فليدعها تفك وليس له أن يبيعها لقوم غرباء لانه قد غدر بها اه مترجم

فى إنماء الجمعيات البشرية كان لها تأثير عظيم فى زيادة الاسترقاق واتساع نطاقه حتى انه مالبث ان بلغ عند الامم التى على البساطة والفطرة فى جميع بلاد المشرق مبلغا عظيما ودرجة قاصية واتشارا زائدا فان ثمن الرقيق كان زهيدا وعمله مفيدا بالنظر الى ماصارت اليه الصناعة والتجارة من التقدم والاهمية ولقد كان الحال على خلاف هذا المنوال عند أمم الشمال فان تغذية الرقيق عندهم كانت تكلفهم مصرفا جسيما ولم يكن لعمله كبير جدوى ولا فائدة فلهذا كان الاسترقاق فى بلاد الشمال منذ العصور الخوالى أقل انتشارا منه فى جهات الجنوب من المعمورة وهذا يدلنا على أن الاسترقاق هو من الامور الاقتصادية التدبيرية المترتبة على العمل والاشتغال

ولنبحث الآن فى حالة الرقيق عند الأمم المختلفة واحدة واحدة

الباب الاول

﴿ الاسترقاق فى الازمان القديمة ﴾

(الفرع الاول)

(الاسترقاق عند قدماء المصريين)

كان الرقيق فى مصر عبارة عن آلة للعمل وكان أيضا من الاشياء المعدة لمشاهد الزينة ومظاهر الأُبهة فكان الارقاء بقصور الملوك وبيت الكهان ودار المقاتلين ثم ان الفاقة جعلت اسائر الافراد سبيلا الى امتلاك الارقاء أيضا وكان الاسترقاق عبارة عن الحق فى اعدام الحياة والابقاء عليها وكان الاسارى على العموم أرقاء للدولة يقومون بالاعمال والاشغال التى تستلزمها حاجات القطر أو التى تدعو اليها موجبات زخرفته وتحسين هيئته وفيما عدا هذه التشديدات الخاصة بالاستخدام فى الصالح العام قد تحسنت حالة الرقيق وتلطفت كثيرا فكان يجوز رفع الأَمَة الى مقام الزوجة ثم ان الاخلاق والعادات كانت تقضى بالشفقة على الرقيق والدفاع عنه بل ان الشريعة كانت تجعل حوله سياجا يقيه من البغى والاذى فقد نصت على أن من قتل الرقيق يقتل فيه (٧)

---

(٧) وكذلك الديانة فقد تقرر بها أن الميت عند محاسبته أمام محكمة أزيرس يشهد على نفسه فى خلال تنصله بأنه لم يسع فى ضرر العبد عند مولاه (انظر تاريخ المشرق لماسبيرو وقد أخذت فى ترجمته بناء على طلب نظارة المعارف للتدريس عليه فى مدارس الحكومة وسيطبع قريبا ان شاء الله) اه مترجم

(الفرع الثانى)

(الاسترقاق عند الهنود)

قد حددت شريعة مانو (٨) بطريقة شرعية دينية درجة السودرا (هو الرجل من الطبقة الدنيئة المستخدمة) مع البرهمى بل ومع سائر الناس فقد ورد بها « أنه اذا اشترى البرهمى رجلا سودرا بل واذا لم يشتره فانه يجوز له أن يجبره على خدمته بصفة كونه رقيقا (دازا) لان مثل هذا الانسان ماخلقه واجب الوجود الا ليخدم البراهمة »

ثم ان السودرا وان أطلق سيده سراحه لاتفارقه صفة الخدمة لانه من ذا الذى يمكنه أن يزيل عنه حالة طبيعية مرتبطة به

ثم قيل فى تلك الشريعة

---

(٨) مانو هو مشرع هندى ينسبون اليه وضع مجموع شرائع مشهور وهو أقدم المجاميع المعروفة من هذا القبيل واسمه بلغتهم (ماناقا ذارما ساسترا) أى مجموع شرائع مانو وهو كتاب واف فى علم الاخلاق وفى الشرائع منظوم باللغة السنسيكريتية وقد ترجم الى اللغة الانجليزية وطبع فى كلكته سنة ١٧٩٤ وفى لوندرة سنة ١٧٩٦ ثم ترجم الى الفرنساوية وطبع من سنة ١٨٣٢ الى سنة ١٨٣٣ فى باريس ويقولون انه ابن برهمة وانه الانسان الاول وأما الوقت الذى كان عائشا فيه فهو مجهول ومع ذلك فان مجموع القوانين المنسوب له هو متأخر على الفيدا (أقدم وأقدس كتاب عند الهنود) وقد رأى بعضهم فى مشابهة الاسماء أن مانو هذا هو نفس منا أو مينيس أول ملوك مصر ومينوس ملك اقريطش (جزيرة كريد) ومشرعها اه مترجم

« اذا اضطهد السودرا أحـد البراهمة فلا مندوحة عن قتله البتة ـ واذا وجه رجل من الطبقة الدنيئة سبابا فاحشا الى أحد الدويدياس (أى أولئك الذين تتألف منهم الطبقات العليا الثلاث وهم البراهمة وكشاترياس وفيزياس) فجزاؤه سل لسانه لانه ناتج من القسم الاسفل من برهمة ـ واذا ذكر أحدهم باسمه وبطبقته على هيئـة يؤخـذ منها الازدراء فجزاؤه أن يوضع فى فمـه خنجر طوله عشرة أصابع بعـد احمائه بالنار احماء شـديدا ـ فاذا ساقه عدم الحزم وقلة التبصر الى بذل النصائح والمواعظ للبراهمة فيما يتعلق بواجباتهم فعلى الملك أن يأمر بوضع الزيت المغلى فى فيه وفى أذنه ـ اذا سرق البرهمى من السودرا عوقب بالغرامـة. أما اذا سرق السودرا من البرهمى فجزاؤه أن يحرق ـ واذا تجاسر السودرا على ضرب أحد القضاة فليعلق بسفود (٩) وليشوحيا فاذا ارتكب البرهمى مثل هذه الجريمة فليغرم »

وقد تقرر فى الشرائع البرهمية تقسيم جميع الاشخاص الملزمين بالخدمة الى قسمين وهما الخادمون والارقاء فالاعمال الطاهرة من خصائص الخادمين والاعمال النجسة على عواتق الارقاء

---

(٩) السفود كتنور ويضم وهو حـديدة يشوى بها اللحم .(وهو المعروف بالسيخ) وجمعه سفافيد وسفد اللحم نظمه فى السفود للاشتواء اه مترجم

(الفرع الثالث)

(فى الاسترقاق عند الآشوريين والامم الايرانية)

من نظر الى تاريخ مملكة آشور (١٠) فى الاحقاب السوالف علم أن الاسترقاق كان عريقا بها متأصلا فيها فقد كانت القصور مغتصة بالنساء والارقاء المخصصين للجمال والزينة

أما مملكة الفرس التى امتد سلطانها الى حدود آسيا المعروفة فى وقتها فقد استجمعت جميع أنواع الاستخدام المعروفة عند كثير من الامم المختلفة فكان فيها الارقاء الرعاة والارقاء الخاصون بحاجات الزينة والثروة واليسار وكان فى معبد أنايتس (١١) بارمينيا وهيكل

---

(١٠) اسمها بالفرنساوية *Assyrie* وقد وردت فى الكتب العربية القديمة المعتبرة مثل مروج الذهب ومختصر الدول وطبقات الاطباء وغيرهما آثور بالثاء وجاءت فى التوراة اشور بتشديد الشين اه مترجم

(١١) وهى إلهة تسمى أيضاً أناهيد كان الليديون والارمن والفرس يعبدونها وقد شبهها اليونان تارة بالآلهة ديان (إلهة الصيد) وتارة بالزُّهَرَة (إلهة الجمال التى تولدت من زبد البحر) وكانوا يحتفلون بموسمها بارمينية فى كل ستة شهور وكان الكهنة يزفون تمثالها ويرقصون حوله شاكى السلاح ويجمع الاهالى وتأخذهم السورة الدينية مأخذها حتى اذا تملكهم السرور وتولاهم الابتهاج خلعوا العذار وارتكبوا أعمالا فاحشة مستنكرة من غير أن يكون لهم من الحياء رادع وكانوا يتقربون اليها ببنات أبكار يرين فى بذل عرضهن وهتك حجابهن تزلفا اليها اه مترجم

كومانة بكبدوكية (١٢) أرقاء قد أعدوا لعمل الخبائث المستقبحة المنكرة التي قضت بها خرافات القوم

وقد أوجد العرف والاصطلاح في بعض البلاد أوقات للارقاء يتفرغون فيها لانفسهم طلبا للراحة بل قد اجتهد واضعوا الشرائع عندهم في تقليل إجحاف الموالي بمواليهم وتخفيف وطأة مظالمهم عليهم قال هيرودوت (١٣) « لايجوز لاى فارسى أن يعاقب عبده على

---

(١٢) كومانة (واسمها الآن البستان) هي احدى مدائن كبدوكية على نهر ميلاس (الذي هو الآن نهر قره صو ولفظة ميلاس معناها الاسود وقره بالتركية معناها كذلك أيضا) كان يحكم هذه المدينة كاهن بصفة ملك ويقيم في هيكل به ٦٠٠٠ آلاف قسيس وكان هذا الرئيس ينتخب من العائلة الملوكية بكبدوكية وكانت الآلهة المعبودة في هذا الهيكل هي التي يسميها الرومان بيلونه آلهة الحرب وربما كانت هي نفس آنايتس الارمينية وكبدوكية اسم مملكة قديمة صغيرة مستقلة من بلاد آسيا الصغرى وهي في الجهة الشرقية على حدود أرمينية وسورية اهـ مترجم

(١٣) مؤرخ يوناني شهير يلقب بابي التاريخ ولد في سنة ٤٨٤ ق م وساح في شبيبته ببلاد اليونان ومصر وآسيا ليقف على أنباء الامم وعاداتها ولما عاد وجد الظلم ضاربا أطنابه في وطنه فاضطر لان ينزح الى ساموس ولكنه رجع الى بلده بعد قليل وكسر شوكة الطاغية وقلبه قلب الا رجوع له بعده ولكن بني وطنه لم يعرفوا له هذا الجميل فبارحهم وأخذ في كتابة تاريخه وقد تلاه على اليونانيين وهم مجتمعون في احد الالعاب العمومية المعروفة عندهم فصادف نجاحا تاما حتى انهم كافئوه بمبلغ عشر وزنات ذهبا (٥٤٠٠ فرنك أى ٢٠٧٧ جنيها مصريا تقريبا) ثم اعتكف في بلاد ايطاليا ومات بها طاعنا في السن في سنة ٤٠٦ ق م وتاريخه عبارة عن سبعة كتب موضوعها حروب اليونان مع الفرس والماديين وتكلم في مقدمته على تاريخ الماديين والفرس والمصريين وجملة امم أخرى

ذنب واحد قد اقترفه بعقاب بالغ فى الشدة والصرامة » ولكن اذا عاد العبد لارتكاب هذا الذنب بعد ما أصابه من العقاب فلمولاه حينئذ أن يعدمه الحياة أو أن يعاقبه بجميع ما يتصور من أنواع العذاب .

(الفرع الرابع)

(فى الاسترقاق عند الصينيين)

قد أرخت الايام سدالها وألقت الليالى ستارها على مبدأ ظهور الاستعباد بهاتيك البلاد (١٤) فلقد كان الاستخدام للمنفعة العمومية موجودا بها قبل التاريخ المسيحى بأجيال طوال يقوم به المحكوم عليهم والاسارى ثم امتزجت أخلاق القوم بهذه العادة فاستعملوا الاسترقاق وكانوا يجلبون الرقيق من الخارج أو يأخذونهم من ذات

وهو يعتبر أصدق مؤرخى السلف على ما فيه من السذاجة وكثرة التصديق لكل ما يلقى اليه والبحث على الامور العجيبة الخارقة للعادة ولكنه يرويها على سبيل أقاويل وينسبون اليه ترجمة حياة هوميروس الشاعر الطائر الصيت وهى ليست له ولكنها قديمة جدا وقد ترجم كتابه الى أغلب لغات أوروبا والى اللغة العربية أيضا واسمه فى الكتب القديمة هيرودطس اه مترجم

(١٤) هذا أصلها الفرنساوى *L'origine de l'esclavage enChine se perd dans la nuit des temps* ولكونى تعبت كثيرا فى وضعها فى قالب عربى يوافق الذوق الافرنجى ولا تنفر منه أذن العربى فقد أحببت وضع الاصل هنا حتى يكون نبراسا للغير . ويكفيهم مؤنة البحث والعناء لان هذه الاستعارة الفرنساوية كثيرة الاستعمال جدا عند الافرنج اه مترجم

الصين كما كانت تفعل الدولة نفسها أما من الخارج فبواسطة الحروب والاسلاب اذ كانوا يوزعون الغنائم من أناس وأشياء على كبار الضباط أو يأتون بأغنائهم لخزينة الدولة وأما فى نفس البلد فبسبب الفاقة والاحتياج لان الفقير كان يضطر لبيع نفسه أو لبيع أولاده

فكان هنالك عائلات مستعبدة بسبب الشدة وأرقاء قد بيعوا بالثمن وكان للمولى على رقيقة التصرف المطلق ببيعه كما اشتراه بل و ببيع أولاده

والظاهر أن الاسترقاق كان فى بلاد الصين قليل الشدة والصعوبة فان الشرائع والعرف والاخلاق كانت تساعد على تلطيف حاله فقد أصدر الامبراطور كوانجون (وهو الذى كان عائشا بعد المسيح بخمسة وثلاثين سنة) أمرين اثنين بوقاية حياة الرقيق وشخصه ضمنهما عبارات تشف عن كمال المروءة وتشعر بمقام الانسانية ودرجتها العالية فقد قيل فيهما « ان الانسان هو أفضل وأشرف المخلوقات التى فى السماء والتى على الارض فمن قتل رقيقه فليس له من سبيل فى اخفاء جرمه ومن أخذت به الجراءة فكوى رقيقه بالنار حوكم على ذلك بمقتضى الشريعة ومن كواه سيده بالنار دخل فى عداد الوطنيين الاحرار » ولقد كان بعض الارقاء يصادفه الحظ ويقبل عليه الدهر

فتسمو به المناصب الى أن يكون موضع الثقة من مولاه بل ويجد
فى بعض المكاسب طريقة ينال بها حريته و يتخلص من ربقة الرق
ولهذا كان الاسترقاق قليلا عند أمة الصينيين التى امتازت بجودة
الفطانة وسلامة الفكرواصالة الرأى

(الفرع الخامس)
(فى الاسترقاق عند العبرانيين)

وجد الاسترقاق عند هذه الامة منذ الازمان القديمة جدا
وكان الارقاء فى زمن أنبياء بنى اسرائيل معدودين من أصول الثروة
وأسباب الغنى عند أولئك الرؤساء الذين كان دأبهم الحل والترحال
والضرب فى أطراف البلاد وكان مقام الارقاء كمقام الماشية ولكن
كما أن صاحب الدابة لايرضى بتحميلها فوق طاقتها وكما أن صاحب
الناقة لايجهدها أكثر مما فى استطاعتها كذلك كان شأن السيد
الحكيم المتبصر فانه ما كان يلزم رقيقه بعمل يزيد عن الحد وكان
للارقاء عندهم بعض الحقوق فكان لهم أن يستريحوا سبعة أسابيع
فى السنة ولا يجوز للرجل أن يضرب عبده ضربا مزهقا ومن فعل
ذلك أوخذ بعقاب فيه بعض الشدة وكذلك من بتر الرقيق أو كسر
له عضوا أو سنا ولهذا يصح القول بأن العبرانيين كانوا يعاملون الارقاء
معاملتهم أنفسهم وكان كثيرا مايتفق للمولى أن يميز احدى امائه

فيتخذها حليلة له بل الاغرب من ذلك أن العبد الذكر كان يتاح له فى بعض الاحيان أن يتزوج بنت مولاه وذلك حينما لا يكون للمولى أولاد ذكور وفوق ذلك فان العبرانيين كانوا يتسرون غالبا بجواريهم

وخلاصة القول أن الاسترقاق عند العبرانيين وعند غيرهم من سائر أمم المشرق كان مقرونا بالتلطف والتعطف اللذين لا يرى لهما مثيل فى بلاد اليونان ولا فى مدينة رومة وفضلا عن ذلك فقد ورد بشريعة سيدنا موسى عليه السلام أن العبد اذا استحق القصاص فلا يصدر الحكم عليه الا من القاضى دون سواه فكان فى ذلك احتياط دقيق ورحمة بأولئك المساكين لئلا يكونوا عرضة لقساوة الموالى وغرضا لسهام أهوائهم (١٥)

---

(١٥) جاء فى الاصحاح الحادى والعشرين من سفر الخروج مانصه اذا ابتعت عبدا عبرانيا فليخدمك ست سنين وفى السابعة يخرج حرا مجانا وان دخل وحده فليخرج وحده وان كان ذا زوج فليخرج زوجه معه وان زوجه مولاه بمرأة فولدت له بنين أو بنات فالمرأة وأولادها يكونون لمولاه وهو يخرج وحده وان قال العبد قد أحببت مولاى وزوجى وبنى لا أخرج حرا يقدمه مولاه الى الآلهة الى مصراع الباب أو قائمته ويثقب مولاه اذنه فيخدمه الى الدهر وان باع رجل ابنته أمة فلا تخرج خروج العبيد وان كرهها مولاها الذى خطبها لنفسه فليدعها تفك وليس له أن يبيعها لقوم غرباء لانه قد غدر بها اه مترجم

(الفرع السادس)

﴿فى الاسترقاق عند الاغريق﴾ (١٦)

كان الاسترقاق أمرا شائعا فى جميع بلاد اليونان ولم يكن فى الفلاسفة الكثيرين الذين تفتخر بهم هذه البلاد من أنكر الاسترقاق أو اعتبره مخالفا للعدالة والآداب ومكارم الاخلاق بل ان ارسطو نفسه أيد صحته وأثبت مشروعيته معتمدا فى رأيه على اختلاف السلائل البشرية وتنوع أصناف بنى آدم وقد عرف الرقيق بأنه « آلة ذات روح أو متاع قائمة به الحياة » (١٧) ثم قسم الجنس البشرى الى قسمين وهما «الاحرار والارقاء بالطبع»

وكان اليونان يقسمون الرقيق الى صنفين متباينين فالصنف الاول سكان الاقطار التى افتتحوها وغلبوا أهلها على أمرهم وكان هؤلاء الارقاء تابعين لأرضهم ومعتبرين كجزء منها والصنف الثانى

---

(١٦) هو اللفظ الوارد فى الكتب العربية القديمة علما على قدماء اليونان وهو تعريب لفظة جريك Grecs اه مترجم

(١٧) *Une machine animée, une propriété vivante.* هذا التعريف غريب صدوره عن أبى المنطق ومخترعه فانه غير جامع وغير مانع كما هو ظاهر وأرسطو أو ارسطاطاليس أو ارسطوطاليس أشهر من نار على علم اه مترجم

أرقاء البيع والشراء وهؤلاء كان للموالى عليهم حق السيادة المطلقة وأغلب الارقاء كانوا من الفريق الثانى وما كان للمرأة التى تباع أوتؤسر أن تمتنع عن الافتراش لسيدها وكانوا يقولون بحرية من يولد من مثل هذه المخالطة ولكن ذلك كان وصمة عليهم وموضع معرة تدنسهم وسببا فى سقوط اعتبارهم عن غيرهم

وكان الاسترقاق للعهد الاول بالتلصص فى البحار فكانوا يختطفون سكان السواحل لاسترقاقهم ثم صارت المستعمرات اليونانية فى آسيا الصغرى أسواقا عظيمة تباع فيها العبيد وتشرى بل كانت أثينة (١٨) نفسها من أهم هذه الاسواق ولم يكن لها من يزاحمها فى هذه التجارة الا بعض أسواق قديمة لقربها من موارد الرقيق وذلك مثل قبرص وساموس وخصوصا صاقس (١٩) بل قيل ان سكان هذه الجزيرة هم أول من اتجر بالارقاء والاماء

---

(١٨) وقد تكتب أتينا وهى عاصمة بلاد اليونان الآن وقد كان لها شهرة فائقة فى قديم الزمان لكونها كانت منبع الصنائع والعرفان وعدد سكانها ٦٦٥١٠ اه مترجم

(١٩) قبرص أوقبرس جزيرة بالبحر الابيض المتوسط كانت للدولة العلية وتخلت عنها للانكليز بمقتضى معاهدة برلين سنة ١٨٧٨ وعدد سكانها ١٥٠٠٠٠ نسمة وساموس احدى جزائر الارخبيل وهى امارة مستقلة تابعة للدولة العلية وسكانها ٣٦٠٠٠ نفس وساقس اوصاقس وقد تكتب ساقز احدى جزائر الارخبيل وأهلها يدعون أنها مولد هومير وس شاعر اليونان المشهور اه مترجم

وكان العبيد يعملون لمواليهم أو لانفسهم فاذا عملوا لانفسهم كان عليهم أن يدفعوا لاسيادهم مبلغا معينا فى كل يوم على سبيل جعالة يجعلونها لهم بل يظهر انه كان يوجد كثير من بنى يونان ممن اشتروا العبدان وخصوهم للاجارة ليس الا — ولعمرى ان ذلك من أفضل الوجوه وأحسن الطرق فى استعمال المال واستغلاله

وكان العبيد قائمين فى أثينة بخدمة المنازل أيضا ولم يكن فى هذه المدينة رجل عضه الفقر وأخنى عليه الدهر حتى أحرمه من امتلاك عبد واحد على الاقل يشغله فى القيام بلوازم منزله

وكان حق المولى على عبده لايختلف فى شئ من الاشياء عن حقه على سائر مملوكاته فكان يجوز له رهنه (٢٠) على ان حالة العبد عند اليونان لم تكن فى الشدة والمقاساة مثلها عند أمة الرومان وذلك فيما خلا مدينة اسبرطة (٢١) فقد قال المؤرخ

---

(٢٠) فى الاصل الفرنساوى رهنه أو ارتهانه *le donner ou le recevoir en gage* ولا معنى للارتهان فى هذا المقام فلا يتصور أن السيد يرتهن لنفسه عبد نفسه كما هو ظاهر اه مترجم

(٢١) اسبرطة وتسمى أيضا القدمونه كانت من أشهر بلاد اليونان القديمة وكانت عاصمة لاكونيا أو جمهورية اسبرطة وكانت مناظرة أثينا وهى الآن أكوام من الاطلال اه مترجم

بلوترك (٢٢) « ان الحر فيها كان أكثر الاحرار حرية وان الرقيق أكثر الارقاء استرقاقا »

وكان المولى منهم يعاقب عبده بالجلد بالسوط وبالطعن على الرحى وكان يكوى الآبق أو الوارد من البلاد المتبربرة (٢٣) بالحديد المحمى على جبهته على ان حياة الرقيق وشخصه كانا فى كنف القانون ورعايته فما كان يجوز اعدامه الحياة الا بعد صدور الحكم القانونى عليه

وقد كان يوجد بأثينة أناس من العتقى ولكنهم ما كانوا يكتسبون الحقوق الوطنية فكان مقامهم كالاغراب المتوطنين فى البلاد ليس الا بل كانوا ملزمين بالولاء لمواليهم مدى الحياة وأن يقوموا لهم بواجبات مفروضة وكان هناك أرقاء عموميون تشتريهم الدولة للقيام ببعض الشؤون فنهم فريق كان يناط به حفظ المدينة وخفارتها

---

(٢٢) ويسمى بلوطرخوس بالطاء أو بالتاء مؤرخ وأخلاقى يونانى مشهور ألف كتابا جليلا اسمه (تراجم المشاهير والاعيان برومة وبلاد اليونان) وغير ذلك من الرسائل العديدة فى السياسة والتاريخ والفلسفة مثل أصل النفس وصمت الهاتفين بالغيب وذكاء سقراط والتربية وكيفية تلاوة منظومات الشعراء وتناقض الرواقيين (أصحاب زينون) وثروة الرومانيين والوليمة وأمور تتعلق بالمائدة اه مترجم

(٢٣) يريدون بالامم المتبربرة كل من عدا اليونان كما أن الرومانيين يقصدون أيضا بهذا اللفظ كل من لم يكن له حق الوطنيه فى مدينة رومة والعجم عند العرب كل من ليس بعربى وهذا منشأه حب الاستئثار ونظر كل أمة الى نفسها بعين الاجلال والاكبار اه مترجم

فكان الواجب عليهم المحافظة على استتباب الامن وتوطيد دعائم الراحة فى الاجتماعات العمومية

(الفرع السابع)

(فى الاسترقاق عند الرومانيين)

ان العادة التى جرى عليها السلف فى الازمان القديمة من استعباد الاسارى كانت بالطبع متبعة أيضا عند الرومانيين فكان العمل بروم (٢٤) فى مبدا الامر موكولا الى العاملين الاحرار ولذلك

(٢٤) هى أشهر من أن تعرف فقد مضت عليها الشهور والدهور وهى سيدة الدنيا القديمة باسرها وكانت جمهورية ذات شوكة ومنعة وعاصمة للمملكة الرومانيـة وهى الآن تخت لمملكة ايطاليا ويقيم فيها الملك وأيضا البابا (وهو رأس الديانة العيسوية الكاثوليكية) وفيها كثير من الآثار الفائقة والعمائر المعجبه وعدد سكانها ٢٠٣٣٥٣٢ وهى قائمة على سبعة تلال أسسها رومولوس فى سنة ٧٥٣ ق م على ما جاء فى الروايات المتواترة وتولاها سبعة ملوك ثم حكمها السناتو ثم القنصلان معا وتاريخ تلك الايام سقيم غير صحيح ولا محقق وكان لقب أسقف رومة هو اللقب الوحيد الذى يعرف به فى الاجيال الاولى من الكنيسة الاحبار الذين سموا فيما بعد بالبابوات وتاريخ رومة هو الذى يبتدئ من عام تأسيسها فى سنة ٧٥٣ ق م ولشهرة هذه المدينـة قد ضرب بها المثل فى اللغات الافرنكية فى أمور كثيرة فمن جملة امثالهم قولهم (كل طريق يوصل الى رومة) و (رومة لم تتم فى يوم واحد) و (بالسؤال يذهب الانسان الى رومة) و (يلزم الانسان أن يعيش فى رومة بحسب اصطلاح أهلها) و (من يذهب الى رومة وهو كالبهيم يرجع منها وهو كذلك) ويقابلها فى الامثال العامية عندنا (سكة أبو زيد كلها مسالك) و (ربنا خلق الدنيا فى ستة أيام) و (اللى يسأل ما يتوهشى) و (ان دخلت بلد والتقيت أهلها يعبدوا الثور حش وادى له) و (حمار الصيف حمار الشتا)

انبثت روح الشهامة والرجولية فى جميع سكان هذه المدينة الشهيرة فى مبادئ تاريخها على ان هذه الحالة لم تبق على ما هى عليه بل زالت بالمرة لاتساع نطاق المدنية وتطرق وجوه الزخرف والبهرجة اليها فكثر عدد الرقيق ثم ازداد لما توسعت رومة فى الفتوحات وغزو البلاد فوضع البطارقة (٢٥) والاغنياء أيديهم على العبيد واستعملوهم فى حراثة أراضيهم ولم تلبث الصنائع والفنون الميكانيكية ان وقعت أيضا فى أيدى الرقيق

وكانت وجوه الاسترقاق برومة متعددة فانه فضلا عن استرقاق الامم المغلوبة بالحرب واستعبادها كان هنالك صنف آخر وهم العبيد بالولادة أى الذين يولدون من الارقاء وصنف ثالث من الاحرار الذين قضت عليهم بعض نصوص القانون بالوقوع تحت نير العبودية (٢٦) ولا حاجة للقول بان الحرب كانت من أعظم موارد الاسترقاق عند الرومانيين ولذلك كان النخاسون يرافقون الجيوش عادة وكثيرا ما كان يتفق بيع آلاف من الاسارى باثمان بخسة وذلك عقيب فوز عظيم

---

(٢٥) جمع بطريق Patricien وليس البطارقة رؤساء الديانة كما يتبادر للوهم وكما ورد فى بعض الكتب العربية خلطا لها بكلمة بطرك وبطريرك (رئيس رؤساء الاساقفة) وانما هى كلمة يونانية Patricius وهى تطلق على أعضاء العيال الاصلية التى كان أشراف الرومان مؤلفين منها أو سلالتهم بالولادة أو التبنى اه مترجم

(٢٦) مثل المدين الذى لم يتيسر له إيفاء دينه فانه كان يصير رقيقا لدائنه وغير ذلك اه مترجم

فى وقعة مهمة وكانوا يسرقون الاطفال ليبيعوهم والنساء ليتخذوهن لقضاء الفاحشة وارتكاب الفجور

وكان الرومانيون يعتبرون هذه التجارة مخلة بالشرف مسقطة للاعتبار ولكنها كانت تجارة رابحة ناجحة وكان الذين يتعاطونها يحصلون على أموال طائلة وثروة وافرة فنهم النخاس تورانيوس الذى كان فى أيام اغسطس متمتعا بشهرة فائقة وصيت بعيد

وكانت العادة فى رومة بيع الرقيق بالمزاد فكانوا يوقفونهم على حجر مرتفع بحيث يتيسر لكل واحد أن يراهم ويمسهم بيده ولو لم يكن له رغبة فى الشراء وكانت العادة ان المشترى يطلب رؤية الارقاء عراة تماما لان بائعى الرقيق كانوا يستعملون وجوها كثيرة من المكر لاخفاء عيوب الرقيق الجثمانية كما يفعل اليوم الجمبازجية(٢٧) فى الخيول

وكانت أثمان العبيد المتعلمين المتأدبين غالية جدا ومثلهم المعدّون لتشخيص الروايات ولا تسل عن المغالاة فى دفع الاثمان الزائدة لمشترى الجوارى الحسان البارعات فى الجمال اللاتى يجعلن لمقتنيهن حظا كبيرا فى الاستحصال على كثير المال بسبب تعريضهن للفسق والفجور وفى عهد الدولة كان القوم يدفعون المبالغ

---

(٢٧) بياعو الخيل اه مترجم

الباهظة للاستحصال على بنات ذات دلال وذلك حينما ازداد فساد الاخلاق واختلت قواعد الآداب وانتشر الزخرف فيهم الى ما تجاوز الحدود

وكانت رومة شبيهة ببلاد اليونان فى تقسيم الارقاء على أنواع فنهم الارقاء العموميون (٢٨) ومنهم الارقاء الخصوصيون فافراد الفريق الاول كانوا ملكا للحكومة وكانت حالتهم أفضل وأحسن من حالة اخوانهم بكثير فكان عليهم العناية بشأن المبانى العمومية بل ومساعدة القضاة والكهنة فى القيام بواجبات وظائفهم وكانوا يستخدمون فوق ذلك سجانين وجلادين (سيافين) وملاحين وأمثال ذلك من الوظائف . وأما افراد الفريق الثانى فكان عليهم أن يقوموا بكافة شؤون الخدمة فى دور مواليهم كأن يكونوا بوابين وخدامين وطهاة (٢٩) ومستخدمين لقضاء الحاجات وماأشبه ذلك

ولم يكن الرقيق فى نظر القانون الا كشئ من الاشياء فليس له ملكية ولا عائلة ولا صفة شخصية

وقد سبق لنا القول بان الولادة قد تكون سببا فى الاسترقاق ولذلك كان القانون يبيح للسيد استرقاق من تلده أمته والمقرر فى

---

(٢٨) جاء فى الاصل Privés سهوا وحقها Publics اهـ مترجم

(٢٩) طباخين اهـ مترجم

الشريعة الرومانية انه فيما عدا النكاح تكون حالة الولد شبيهة بحالة امه حين وضعها له بمعنى انها اذا كانت حرة فى ذلك الوقت فالولد يكون حرا واذا كانت رقيقة فالولد يكون رقيقا أيضا مهما كانت حالتها فى أثناء الحمل على ان هذه الشدة قد تلطفت فيما بعد وتقرر أنه يكفى فى حرية المولود أن تكون امه نالت حريتها أثناء الحمل (٣٠) (انظر فتاوى يوستينيانوس)

وكان حق العقوبة من نتائج سلطة الموالى على أرقائهم فكان الارقاء الذين يأتون بهفوة يجازون عليها بالشدة وفى بعض الاحيان بقساوة فائقة عن الحد لم يسمع لها بمثيل فكان أخف العقوبات وألطفها عندهم استعمال الرقيق فى مشاق الحراثة والزراعة وهو مكبل بالسلاسل مثقل بالاغلال معرض لاقسى أنواع العذاب وأما العقوبة بالجلد بالسياط فكانت فى غاية القسوة ونهاية الشدة حتى انها كانت تنتهى بالهلاك فى أغلب الاوقات وكانوا يعاقبون الرقيق أيضا بتعليقه من يديه وربط الاثقال فى رجليه

ومازال الارقاء يقاسون أنواع العذاب ويعانون أصناف الاوصاب حتى آل الامر بواضعى الشرائع للنظر اليهم بعين الشفقة والمرحمة وتدوين الاحكام القاضية برعاية ومن معاملتهم وأول قانون فى

(٣٠) ولو كانت فاقدة لها حين الوضع فان نوال الحرية ثم فقدها ثم نوالها وهكذا كان كثير الوقوع عندهم بمقتضى قانونهم اهـ مترجم

هـذا المعنى هو قانون پترونيا وفيـه انه يحرم على الموالى الزام أرقائهم بمقاتلة الوحوش الضارية والحيوانات الكاسرة على انه قد تدوّن فيه ان الرقيق الذى يأتى جرما يستوجب هذا الجزاء يجوز لسيده أن يعاقبه به بعد التصريح من القاضى وقد أصدر أنطونان (٣١) أمرا حصر فيـه مايسمونه بحق الحياة والممات الذى يعتبره المفتى جايوس (٣٢) من حقوق الامم والملل فقال أنطونان «اذا قتل المولى عبده بغير حق وجبت معاقبته كأنه قتل عبدا لغيره» (٣٣) وقد تقرر فى هذا الامر أيضا نهى الموالى عن سوء معاملة أرقائهم ثم صدر أمر من كلوديوس تدوّن فيـه انه «اذا قتل السـيد عبده عدّ مرتكبا لجناية القتل»

---

(٣١) ويلقب بالتقى وهو امبراطور رومانى حكم بالقسط والاعتدال من سنة ١٣٨ الى سنة ١٦١ ولفظة امبراطور مشتقة من كلمة لاتينية معناها الامر والحكم وكان الجنود يلقبون بها كل قائد جيش وخصوصا القواد الذين كانوا يفوزون بالغلبـة والانتصار ثم ان الامـة الرومانية منحت هذا اللقب الى يوليوس قيصر فى سنة ٧٠٨ ق م دلالة على ما كان له عليها من السلطان المطلق ويطلق هذا اللفظ الآن على رؤساء الممالك الكبيرة اهـ مترجم

(٣٢) هو فقيـه رومانى له كتاب فى الفتاوى وهو من أبناء القرن الثانى للميلاد اهـ مترجم

(٣٣) أى بالاعدام أو الابعاد من البلاد اهـ مترجم

الباب الثانى

﴿ الكلام على الاسترقاق فى القرون الوسطى ﴾

ان قوانين الامم المتبربرة(٣٤)تشابه قوانين الرومانيين فى كونها تعتبر الرقيق كشئ من الاشياء فانها تجعله بمنزلة الفرس والثور وغيرهما من الحيوانات المستخدمة الاهلية فكان المولى فى شرعهم يتصرف بعبده كما يتصرف بما عنده من الاشياء ذات القيمة وكان يجوز له قتله لانه شئ من الاشياء التى تملكها بعينه وهم فروع

---

(٣٤) الامم المقصودة فى هذا الفصل هى أمم مخصوصة أغارت على المملكة الرومانية جملة مرار لاسباب غير معروفة واليك تفصيلات مهمة عليها هذه الامم تتألف من ثلاثة أجناس كبيرة وهى الجنس الجرمانى أو التوتونى والجنس الصقلبى أو السرماتى والجنس السيتى أو السكيتى وتحت هذه الاجناس أنواع وأصناف وقبائل وعشائر لا تدخل تحت الحصر فمنها أمة الالين Alains وكانت لا تعرف الاسترقاق بل كانوا جميعا أحرارا من نسل أحرار ومن عادة هذه الامم كلها شرب الجعة (البيرة) والماء واللبن والنبيذ فى جماجم الاعداء ومتى تم لهم الانتصار ارتكبوا فظائع جمة ولكن اذا دارت عليهم الدائرة كانوا يقعون على بعضهم بعضا ويهجون على أنفسهم غيظا وحنقا فيربطون الواحد بالآخر ولا يزالون كذلك حتى يموتوا لانهم يقولون الموت ولا التقهقر والمنية ولا الدنية ونساؤهم يتسلحن بالسيوف والبلط ثم ينقضضن على رجالهن وعلى أعدائهن من غير تمييز وهن يصحن صياحا مفزعا مرعبا من شدة ما ألم بهن من الكدر والغضب فكن يقتلن رجالهن لجبنهم والرومانى لانه عدوهن وعند التحام المعركة يقبضن بأيديهن وهى عارية على سيوف الاعداء البتارة وينزعن منهم ترسهم الى أن يشربن كأس الحمام وقد شوهد كثير منهن مرخيات الشعور مضرجات بالدماء متشحات بالملابس السوداء يركبن على

(الفرع الاول)

﴿ الاسترقاق عند الغاليين ﴾ (٣٥)

كانت أعمال الحراثة والفلاحة فى عصر سيسرون (٣٦) من موجبات الهوان والاحتقار ودواعى الذل والصغار ولذلك كان الارقاء هم المتوطنين بحرث الارض والزراعة والحصد

عربات الحرب ويقتلن أزواجهن واخوتهن وآباءهن وأولادهن ويخنقن أطفالهن ثم يقذفن بهم جميعا تحت سنابك الخيل ثم يطعن أنفسهن ويلحقن بهم وقد شنقت احداهن نفسها على عربتها بعد ان صلبت غلامها على ساقيها وقد يسعى الرجل من هذه الامم عند وقوع الهزيمة عليه فى البحث عن شجرة ليصلب نفسه عليها فاذا لم يجد وضع فى رقبته حبلا مربوطا بانشوطة من أحد طرفيه ثم ربط الطرف الآخر فى قوائم وقرون أثواره فلا يلبث أن يهلك وكان بعض هذه الامم يعتقد بالقضاء والقدر من غير أن يكون له دين ما وبعضهم يعبدون سيفا يغرزونه فى الارض وبعضهم يعبدون الها اسمه ديس (أبو الليل) ويتقربون اليه بذبح الشيوخ والطاعنين فى السن وكان الاسترقاق معروفا عند جميع هذه الطوائف وكانوا يقسمون التركة بالمساواة على جميع الاولاد بل ان آخر الاولاد كان أكثر حظا من اخوته لانه يعتبر أضعفهم وأقلهم اقتدارا على كسب الرزق اه مترجم

(٣٥) هم سكان تلك البلاد القديمة المعروفة باسم غاليا وهى غاليا الحقيقية (فرنسا) وغاليا التى أمام جبال الالب (ايطاليا الشمالية) ثم حكومة أقاليم الغاليا (الجزائر البريطانية وفرنسا واسبانيا القديمة) اه مترجم

(٣٦) وقد يكتب شيشرون أو قيقرون وهو أفصح خطباء الرومانيين ولد سنة ١٠٦ ق م ثم درس البلاغة والفلسفة على أشهر أساتذة عصره وانتظم فى سلك المحامين وعمره ٢٦ سنة ثم ذهب الى أثينة لتكميل العلوم والتوسع فى صناعته وعاد الى وطنه ولما دخل فى الثلاثين من عمره تقلد المناصب والوظائف فعين أمينا لبيت المال فى صقلية وجمع

(الفرع الثانى)

(الاسترقاق عند الجرمانيين) (٣٧)

كانت هذه الامة منهمكة فى لعب القمار انهماكا لاحد له كما رواه المؤرخ تاسيتوس (٣٨) حتى كان كثيرا مايخرج الولوع

أفئدة الاهالى على محبته والولاء له حتى انهم كلفوه بالمدافعة عنهم فى دعوى أقاموها على رجل من الحكام نهبهم واغتصب اموالهم بطرق فاضحة وقد كسب الدعوى مع ماللخصم من الاقتدار ونفوذ الكلمة وكثرة المال ثم عين قنصلا (علم على أحد القاضيين الاولين اللذين كانا على رأس حكومة رومه) واكتشف على مؤامرة نخيب مساعى أهلها فلقبه مجلس الشيوخ (السناتو) أبا الوطن ثم فاز عليه أصحاب المؤامرة المذكورة فنفوه بحجة أنه أمر باعدام المتآمرين من غير محاكمة ثم أعيد الى بلده بعد ١٦ شهرا واستقبل بمظاهر الاحتفاء والاحتفال ثم عين فى حكومة كيليكيا (بآسيا الصغرى) وانتصر فى وقائع حربية كثيرة حتى لقبه عساكره بالامبراطور ثم تخلى عن الاعمال وتفرغ لتاليف كتبه الجليلة الفريدة ثم عادى انطونيوس وتحزب لاوكتافيوس ولكن الخصمين اتحدا مع بعضهما فلم يلتفت اليه اوكتافيوس ولم يدفع عنه كيد عدوه فدس له انطونيوس من قتله فى سنة ٤٣ ق م وكان عمره ٦٤ سنة اه مترجم

(٣٧) هم سكان جرمانيا التى هى الآن المانيا اه مترجم

(٣٨) أو تاشيتوس وقد يكتب اسمه تاقيطس وهو مؤرخ لاتينى ولد فى سنة ٥٤ ميلاديه وانتظم أولا فى سلك المحامين ثم فى الخدمة وتقلد وهو شاب وظيفة فى الحكومة وتزوج ببنت من بنات أغريكولا ثم صار عاملا على ولاية ثم قنصلا وتوفى بعد أن تجاوز الثمانين فى سنة ١٣٠ أو سنة ١٣٤ ميلاديه على خلاف بين المؤرخين اشتهر فى الخطابة والشريعة وقد ضاعت أغلب تآليفه ولكن بقى منها جزء من تاريخه وترجمة حال أغريكولا وأخلاق الجرمانيين ومحاورة على الفصاحة ينسبها بعضهم الى الفيلسوف كوانتليانوس وكان يبحث فى مؤلفاته بحثا تاريخيا فلسفيا فلذلك جاء انشاؤه جزلا وافيا دقيقا وكثيرا ما يبالغ فى الكلام على عادات الجرمانيين اه مترجم

به بعضهم الى الشطط فيقامرون على نسائهم وأولادهم بل وعلى حريتهم الشخصية

أما الارقاء الذين يحتكهم الجرمانيون بطريقة الشراء أو الميراث فما كانوا يكلفون بخدمة المنازل بل كان لكل واحد منهم مسكن خاص به يدبره كيفما شاء وكان المولى يفرض عليه مقدارا من القمح أو الماشية أو الملابس كأنه من مؤاجريه وفي ذلك كان ينحصر الاستعباد عندهم

(الفرع الثالث)

﴿ الاسترقاق عند الفرنج ﴾ (٣٩)

وصل الاسترقاق عندهم الى نهاية الشدة والقسوة فان القانون السالى (٤٠) جعل من مبدا الامر بين الارقاء والاحرار من الموانع

---

(٣٩) أمة حرة مؤلفة من جملة عائلات جرمانية سكنت بطائح نهر الرين الاسفل ومنها تناسل الفرنساوية وهي من أشهر الامم التي ظهرت في القرن الثاني والثالث بعد المسيح وكان في طبعهم الجراءة والاقدام والشمم ولم يكن عندهم شئ من العلوم ولا من الصنائع سوى أن الرجل يولد عسكريا وكانوا يتعيشون من الصيد وقطع الطريق وكان الرجل منهم لا يتزوج الا بامرأة واحدة له عليها سلطان مطلق وكانوا على جانب عظيم من الدهاء والمكر والخيانة والغدر لا يرون الاقسام والايمان شيأ مذكورا اه مترجم

(٤٠) Loi Salique هو في فرنسا ومقتضاه حرمان النساء من الجلوس على كرسي المملكة وكان في أول الامر خاصا باملاك الافراد ومانعا للاقطاع من الوقوع في أيدى النساء ثم سرى مفعوله على الوراثة الملوكية للمرة الاولى في سنة ١٣١٦ بعد وفاة لويز الهوتيني ومن ذلك الوقت يعتبر من القوانين الاساسية للمملكة الفرنساوية في القرون الوسطى وهو يحتوى على ٤٠٠ مادة أغلبها في الكلام على الجنح والجنايات مثل السرقة والاكراه والجرح والقتل اه مترجم

والحواجز أسوارا كثيفة فكان التناكح بينهما غير جائز مطلقا اذ فى صريح القانون عندهم انه « اذا تزوج أحد الاهالى برقيقة أجنبية وقع فى الرق والاستعباد » وكذلك المرأة الحرة التى تتزوج برقيق تفقد حريتها وينالها هذا العقاب

(الفرع الرابع)

﴿ الاسترقاق عند الويزيقوط ﴾ (٤١)

قوانين النكاح عند هذه الامة أبلغ فى الشدة مما هى عند التى قبلها فقد تدون بها « أن المرأة الحرة اذا تزوجت برقيقها كانت عقوبتها ان تحرق هى واياه وهما على قيد الحياة » وأما اذا كانت لاتمتلك العبد يفسخ النكاح ويجلد كل منهما بالسياط ولكن الرقيق لم يكن ملكا لسيده بوجه الاطلاق بحيث تكون حياته فى يده يتصرف فيها كيفما شاء بل كان القاضى هو الذى يحكم على العبد بالموت اذا كان يستحق ذلك ثم يسلمه لسيده يفعل به مايريد

---

(٤١) هم فرع من أمة القوط وهى أمة قديمة بجرمانيا جاءت الاندلس ولها ذكر فى ابن خلدون وغيره من مؤرخى الاسلام اهـ مترجم

(الفرع الخامس)

(الاسترقاق عند الاوستروقوط واللومباردين) (٤٢)

وضعت أحكام صارمة عند هاتين الامتين فكانت المرأة الحرة التى تتزوج برقيق تعاقب بالاعدام

(الفرع السادس)

(الاسترقاق عند الانجلوساكسون) (٤٣)

كانوا يقسمون الرقيق الى صنفين عظيمين كما عند الامم الاخرى وهما الرقيق المشبهون بالمنقولات والرقيق المشبهون بالعقارات فافراد الصنف الاول يجوز بيعهم وأما الآخرون فكانوا لاينفكون عن الارض القائمين بحراثتها وزراعتها وفى أواخر حكم هذه الامة كان يجوز للأرقاء أن يكون لهم رأس مال خاص بهم وكانوا يشتغلون بتحصيل مايدفعونه لمواليهم لاجل نوال حريتهم

وسنتكلم فى الباب الرابع على الاسترقاق فى الديانة النصرانية

(٤٢) الاوستروقوط فرع آخر من الامة المذكورة ملك ايطاليا مدة من الزمان واللومبارديون هم سكان لومبارديا من القرن السادس الى الثامن بعد المسيح قهرهم شارلمان ولومبارديا قسم فى شمال ايطاليا تختنه ميلانو وهى الآن احدى مقاطعاتها اه مترجم

(٤٣) هو اسم جنس أطلق على الامم الجرمانية التى أغارت على بريطانيا العظمى فى القرن الخامس للميلاد ومنهم تناسل الانكليز اه مترجم

الباب الثالث

﴿الاسترقاق فى الازمان الحديثة﴾ (٤٤)

اذا انتقلنا الى الازمان الحديثة وجدنا أن استرقاق الزنوج يشابه الاستعباد عند الرومانيين من حيث الشخص المستخدم ولكنه يخالفه مخالفة جوهرية من حيث أصله ومنشأه وذلك لان فتوح المستعمرات لم يأت بامتلاك الارض مع العامل الذى يحرثها بل انه بعد اكتشاف الاراضى صار تبديد أهاليها أو ابادتهم فكانت

---

(٤٤) قد اعتاد أهل التاريخ عند الافرنج على قسمة سنى العالم الى ثلاثة أقسام وهى الازمان القديمة والقرون المتوسطة والازمان الحديثة وجمهورهم على أن الازمان القديمة تبتدئ من خلق الدنيا الى سنة ٣٩٥ ميلادية التى انقسمت فيها المملكة الرومانية الى شرقية تختها القسطنطينية وغربية عاصمتها رومة ويقول آخرون انها تنتهى فى سنة ٤٧٦ التى انقرضت فيها المملكة الرومانية الغربية على يد الامم المتبربرة (وليس فى ذلك الخلاف أهمية كبيرة فان انقراض الهيئة الاجتماعية الرومانية لم يتم فى يوم واحد بل ابتدأت فى السقوط على إثر موت تيودوز الذى قسم المملكة الرومانية بين ولديه الى شرقية وغربية كما ذكرنا ثم ان انقراضها تم نهائيا فى سنة ٤٧٦ ميلادية) والقرون الوسطى هى المدة التاريخية المنحصرة بين انقراض الهيئة الرومانية أى انتهاء الازمان القديمة و بين فتح المسلمين لمدينة القسطنطينية فى سنة ١٤٥٣ مسيحية وتدميرهم المملكة الرومانية الغربية وأما الازمان الحديثة فتاريخها من ابتداء استيلاء السلطان محمد الفاتح على القسطنطينية الى أن وقعت الثورة الفرنساوية فى سنة ١٧٨٩ مسيحية وأما تاريخ الازمان التى بعد سنة ١٧٨٩ فقد اتفقوا على تسميته بالتاريخ العصرى اهـ مترجم

الحاجة ماسة الى اعادة السكان فيها ولم يكن ثمة من واسطة سوى جلب الزنوج اليها

(القانون الاسود)

اعلم أن هذا الاسم يطلق فى جميع البُلدان على مجموع القواعد والاصول المدوّنة بشأن الاسترقاق

وقد صدر فى ١٧ مارس سنة ١٦٨٥ مرسوم بتنظيم أحوال الارقاء والعتق فى جميع المستعمرات الفرنساوية وتقرر فيه تخويل الحق المدنى والسياسى للاحرار من ذوى الالوان واعتبار العتق ولادة جديدة للمعتوق على أن الجمعية الدستورية لما أرادت العمل بهذا المبدإ واستنباط النتائج المترتبة عليه عقلا صادفت صعوبات عنيفة ومعارضات قوية وما ذلك الا لان القانون الاسود لم تنفذ منه الا القواعد الصارمة والاحكام البالغة فى الشدّة أما الاصول المقتضية حصر سلطة الموالى أو تحميلهم بحقوق لارقائهم فكانت مهملة متروكة كأنها لم تكن

واذا اعتدى الزنوج بأقل اكراه على ساداتهم أو على الاحرار أو ارتكبوا أخف السرقات فجزاؤهم القتل أو العقاب البدنى بالاقل وهذا دليل كاف على مافى القانون من الشدة التى ليس بعدها شدّة

وان الانسان ليمتلئ غيظا وغضبا اذا ذكر أنواع العقاب التى كانت موضوعة للآبقين فقد كان عقاب الإباق فى المرة الاولى والثانية قطعا للآذان ومسحا بالسوق وكيا بالحديد المحمى وفى الثالثة القتل

ومهما بلغت شدّة هذا القانون فانها لاتنقص عن قانون المستعمرات الانكليزية اذا قابلناها بها فقد تقرر فى مستعمرة الجامايك وانتيجوا (٤٥) آن من أبق واستمر فى إباقه أكثر من ستة شهور جزاؤه الاعدام

ومن أسوإ الاحكام التى جاء بها المرسوم الصادر فى مارس سنة ١٦٨٥ انه عند مايرتكب المالك أو الرئيس أية جناية على الرقيق ولو كانت جناية القتل يكون للقضاة الحرية فى مراعاة أحوال البراءة وأن يبرؤا ساحة المتهمين الغائبين من غير أن تكون هناك حاجة للاستحصال على العفو وقد كتب هيليار دوبرتوى فى (ملاحظاته على مستعمرة سان

---

(٤٥) جزيرة جامايك هى من أكبر جزائر انتيليا التابعة لانجلترة فى بحر انتيليا المعروف ببحر الكارايب وعدد سكانها ٥٨٠٫٨٠٠ نفس وتختها كنجستون (أي حجر الملك) وجزيرة انتيجوا هى من صغار جزائر انتيليا التابعة لانجلترة أيضا وأما جزائر الانتيليا برمتها فهى عبارة عن أرخبيل كائن بين قسمى أمريكا وينقسم الى جزائر انتيليا الكبيرة وجزائر انتيليا الصغيرة وعدد سكانها كلها ٤٦٢٠٠٠٠ نفس اهـ مترجم

دومينج) (٤٦) ان « المرسوم الصادر فى سنة ١٦٨٥ لايمنع من هلاك الارقاء فى كل يوم بسبب تكبيلهم بالسلاسل أو جلدهم بالسياط ولا من ضربهم ضرب التلف والازهاق ولا من احراقهم عسفا واستبدادا وكل هذه الفظائع يرتكبها القوم فى المستعمرة ولا رادع يردعهم حتى ان كل ذى لون أبيض يعامل الاسود بالغلاظة والقسوة ولا حرج عليه فى ذلك واذا لحق ضرر بعبد من العبيد فالقضاة اعتادت عدم النظر الى هذا الضرر الا من حيث انه ينقص من ثمن العبد المجنى عليه »

وقد أيدت الجمعيات الاستعمارية فى كل زمان هذه القاعدة وهى أنه لايسوغ للمتشرعين أن يتوسطوا و يتداخلوا بالشرائع بين العبد ومولاه وكان الاحرار من ذوى الالوان محرومين من وظائف النفوذ والاعتبار

بل قد صدرت أوامر متنوعة من نظارات الحكومة بمنع المتوسع فى تأويل مواد القانون الاسود فنها ما كان بالنهى عن البحث فى الاوراق المثبتة أن صاحبها من طائفة الاشراف متى تزوج بامرأة امتزج بها دم الارقاء وكان مثل ذلك الرجل يعد غير جدير

---

(٤٦) هى عاصمة الجمهورية الدومينيكانية (احد قسمى جزيرة هايتى) وعدد سكانها ١٦٠٠٠ نسمة وجزيرة هايتى (ومعناها البلاد الجبلية) هى من كبار جزائر انتيليا اه مترجم

نيابة وظيفة فى المستعمرات بل يعتبر ساقطا من درجـة ذوى اللون الابيض ومنها ما كانت بتحريم حضور ذوى الالوان الى بلاد فرنسا للتغذى بألبان المعارف واقتطاف ثمرات التأديب والتهـذيب ومنها ماتضمن عبارات صريحة هـذا تعريبها « ان حسـن النظام مما يوجب عدم إقلال الصغار والاحتقار المرتبط بالجنس الاسود مهما كانت درجتـه ومنزلته وقد صمم جـلالة الملك على ابقاء الحكم الاعتبارى الذى مقتضاه أن يحـرم الى أبد الآبدين ذوو الالوان وذريتهم من المزايا الخاصة بالجنس الابيض » (ينايرسنة ١٧٦٧)

هذا كله كان جاريا فى أواخر القرن الثامن عشر وقبيل الثورة الفرنساوية وما زالت مواد القانون الاسود تزداد شيأ فشيأ بما يصـدر من مركز الحكومة أو جهات السـلطة بالمسـتعمرات من الاوامر ومعظمها لم يقصد به ترقية حال الرقيق ولا تحسين درجته كما رأينا وقد صار هذا القـانون أساسا لتقرير الاحكام وسن النظام فى الامـلاك الفرنساوية وفى الجهات المستعمرة لها الى أن حصلت الثورة فى فبراير سـنة ١٨٤٨ فعملت على ابطال الاسـترقاق مرة واحدة فكان لها بذلك فخر يذكر فيشكر

أما القوانين القديمة الخاصة بذوى الالوان وبالارقاء فى الولايات الجنوبية من بلاد أمريكا المتحدة المعروفة أيضا بالقوانين السوداء

فكان فيها من الشدة والصرامة ماتنقبض له النفوس وتنفر منه القلوب فقد صرحت الشريعة فى ولايات لويزيانا وكارولينا (٤٧) وغيرهما من الولايات الجنوبية أن المولى «له حق الملك المطلق على عبده» فله بيعه واجارته ورهنه وخزنه واجراء الجرد عليه وأن يقامر عليه وغير ذلك من الاعمال ولما كان العبد مسلطا عليه أبدا كان من المحتوم عليه أن يحترم سيده وأعضاء عائلته احتراما ليس بعده احترام ويطيعهم طاعة لاحد لها (براجع القانون الاسود لولاية لويزيانا)

أما حق مدافعة الانسان عن شخصه وهو من الحقوق المخولة بالطبع لكل فرد من أفراد بنى آدم فما كان للزنجى المستعبد أن يتمتع به وذلك كما قضى به القانون الاسود لولاية كارولينا الجنوبية ولم يكن للعبد حق فى الذهاب والمجىء وما كان له أن يخرج من الزرع الا بتصريح قانونى واف لجميع الشروط المفروضة على أن

---

(٤٧) لويزيانا هى احدى الولايات الشمالية من الممالك المتحدة بامريكا على خليج مكسيكا وعدد سكانها ٩٣٩٩٤٦ نفسا وعاصمتها باتون روج (العصا الحمرا) وفيها معادن الخارصين والنحاس والفحم الحجرى والحديد وأرضها خصبة خصوصا فى انبات القطن والارز وقصب السكر وأما ولاية كارولينا فهى فى شمال بلاد أمريكا المتحدة وهى قسمان كارولينا الشمالية وينبت بها الارز والذرة وكثير من الحبوب والقنب وفيها غابات كبيرة من الصنوبر وكارولينا الجنوبية وفيها كثير من البطائح وغابات الصنوبر الراتنجى وهى خصبة خصوصا فى انبات القطن والارز والذرة والدخان والنيلة وصناعتها قليلة ولكن زراعتها زاهرة اهـ مترجم

هذا التصريح كان له آفة تذهب بالغاية منه وذلك أنه اذا اجتمع في الطريق العام أكثر من سبعة من الارقاء يعتبرون مخالفين للاوامر وأول أبيض يصادفهم في الطريق له أن يلقي القبض عليهم ويجلدهم عشرين جلدة وكان العبد معتبرا شيئا لا انسانا فكان الذين ينقلونه من مكان الى آخر مسؤلين عن فقده وضياعه وعن العوارض التي تصيبه كما كانوا يسئلون عن خسارة أو تلف حمل من الاحمال أو طرد من الطرود

هذا وقد نص القانون على أن العبيد لانفس لهم ولا روح وقضى بأن لافطانة ولا ذكاء لهم ولاارادة وما كانت الحياة تدب الا في أذرعتهم فقط

فمن ذلك يتضح أن حرية الزنجي كانت معدومة لاوجود لها ولكن في نظير ذلك كانت مسؤليته عظيمة جدا فكان يعتبر شيأ من الاشياء فيما يختص بحقوقه وأما فيما يتعلق بالواجبات المفروضة عليه فانه كان يعود له اعتبار الصبغة الآدمية والصفة البشرية وكان القوم يعتبرونه حرا كلما كانت حريته تسوغ الحكم عليه بالسوط أو بالموت وكان القانون ومشيئة المولى يفرضان عليه واجبات كثيرة ويلزمانه بامور متعددة ويعاقبانه بالشدة والصرامة اذا ظهر منه العصيان وكل مايعتبر جناية من الابيض فهو كذلك بالنسبة الى الاسود من غير عكس فيعاقب القانون الزنجي على جنح وجنايات .

يفعلها ولايسوغ معاقبة الابيض عليها اذا وقعت منه وما هذا الا لمجرد اللون ولذلك كانت العقوبات مختلفة اختلافا بينا بحسب الحكم بها على الاسود أو على الابيض وكان القانون العادى يحكم بالاعدام على كل زنجى يضرب ويجرح مولاه أو مولاته أو أولادهما أو يبتر عمدا عضوا من أعضاء شخص أبيض أو يعود لضرب أبيض مرة ثالثة أو يسرق أو يرفع لواء العصيان أو يرتكب ماأشبه ذلك من الجرائم ويحكم بالجلد على كل من كان سائرا بلا تصريح أو يُغضب مولاه بسبب مّا أو غير ذلك

وفى الولايات الجنوبية المختلفة كان العتق أيضا واقعين تحت طائلة القوانين الصارمة المسنونة لاجلهم فما كان لهم قبل ابطال الاسترقاق أن يشهدوا فى قضيةمّا الا اذادعوا للشهادة على الارقاء أوعلى أمثالهم ومع ذلك فما كان يجوز تحليفهم اليمين القانونية لانها أشرف وأسمى من أن يتفوهوا بها فيدنسوها بتفوههم وكان لايجوز لهم حمل السلاح ومن خالف هذا النهى حكم عليه بالجلد وقد ورد فى نص القانون نفسه أنهم لايجوز لهم أن يستروا جلودهم الا بثياب من القماش الخشن الدنىء حتى يكون فى ذلك اعلام بشأنهم لمن يراهم من بعيد مثل الليمانجية (المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة) وكان ذو اللون الذى يسب الابيض أو يضربه يعاقب بالحبس والغرامة فاذا كان الابيض هو

الذى سبق بضربه ثم تجارأ هو بالدفاع عن نفسه وقتل المعتدى عليه حفظا لحياته كان يعتبر مرتكبا لجريمة القتل وواقعا تحت العقاب الذى تستوجبه ولم يقتصر القانون على هذه النصوص والاحكام بل حرم عليهم تقريبا حرية المرور ولم يكن لهم الحق فى طلب ورقة الجواز (٤٨) وكان لونهم سببا للريبة فى أمرهم والاشتباه فى أحوالهم لانه يجعلهم بمثابة الارقاء فلذلك ما كان يجوز لهم أن يسافروا خارج الحى المتوطنين به لئلا يعرضوا أنفسهم للحبس والاهانة من ذوى اللون الابيض فانهم يمكنهم أن يسرقوهم و يبيعوهم وفى بحر سنة ١٨٥٩ اقترعت الجمعية التشريعية فى ولاية أركانزاس (٤٩) على قانون مقتضاه نفى جميع ذوى الالوان من أراضيها ثم ضبطت الحكومة جميع المنفيين الذين لم يتح لهم مفارقة مواطنهم قبل أول يناير سنة ١٨٦٠ وباعتهم أرقاء فى المزاد

---

(٤٨) وقد ضبطها فى دائرة المعارف بالكسر سهوا . قال فى القاموس الجواز كسحاب صك المسافر وقال فى أساس البلاغة وخذ جوازك وخذوا جوزتكم وهو صك المسافر لئلا يتعرض له . والفسح بالفتح شبه الجواز يقال فسح له الأمير فى السفر اذا كتب له الفسح كما نص عليه صاحب القاموس وغيره من علماء اللغة . وهذان اللفظان يؤديان تماما المعنى المقصود من لفظة بسابورت *Passe-port* الشائعة الآن . اه مترجم

(٤٩) هى احدى الاقطار الشمالية من الولايات المتحدة وسكانها ٨٠٢٥٢٥ وقاعدتها ليتل روك (الصخرة الصغرى) اه مترجم

العمومى وقد حصل مثل ذلك أيضا فى ولايتى ميسورى (٥٠) ولويزيانا وغيرهما

أما الذين كانوا يسعون فى ابطال الاسترقاق و ينادون بوجوب الغائه فأولئك كانوا موضوعا للاحتقار والاهانة بنوع خاص فى مواد القانون الاسود وكان الاعدام جزاء لكل من أشار على أحد الارقاء أو على جماعة منهم بالهيجان وخلع الطاعة سواء كان ذلك بقول أو فعل أو كتابة أو بغير ذلك من الطرق الاخرى وكان الاعدام أو الاشغال الشاقة مؤبدا جزاء لكل من نشر رسالة أو كراسة أو مطبوعا فى أى موضوع من شأنه احداث السخط وعدم الرضى بين الاحرار من السود أو تحريض الارقاء على عدم الامتثال وكان الاعدام أو الاشغال الشاقة من خمس سنين الى احدى وعشرين سنة عقابا لكل من قال مقالا أو أشار اشارة أو عمل عملا من شأنه أن يثير الغيظ فى قلوب الزنوج الاحرار أو الارقاء وكذا كل من أدخل بعلمه فى أرض الحكومة جرائد أو كراسات أو كتبا مؤلفة بالطعن فى الاسترقاق

هذه هى أخص الاحكام التى كانت مدونة فى القانون الاسود قبل

---

(٥٠) هى أيضا من الاقطار الشمالية الداخلة فى الولايات المتحدة وسكانها ٢١٧٠٠٠٠ وقصبتها جفرسون اهـ مترجم

أن تهيج الحرب المدنيـة التى خربت الولايات المتحدة سنين متوالية مبدؤها سـنة ١٨٦٢ وهى تأتينا بالنبا الصادق والدليل الواضح على ماكان يجول فى خواطر واضـعى القوانين نحو الارقاء والمستعبدين ولكن الزنوج أصابوا من هذه الحرب غنيمتهم ألا وهى الحرية ونعمت النعمة

الباب الرابع

﴿ الاسترقاق في الديانة النصرانية ﴾

هل تمكنت الديانة النصرانية من الغاء الاسترقاق أو من تلطيف شدته وتخفيف وطأته حقا جاء في الانجيل أن الناس كلهم يعتبرون اخوانا وانه يجب عليهم أن يحب بعضهم بعضا لكن لا تجد فيه نصا صريحا ضد الاسترقاق وهذا الامر الذي لم يأت به عيسى عليه السلام لم يأت به الحواريون من بعده فلا ترى طائفة من الطوائف المسيحية قالت بتحريم الاسترقاق وكان الامر كذلك عند الكنائس المختلفة التي تولدت من هذه الطوائف وهي الكنيسة اليونانية (الرومية) والكنيسة الكاثوليكية ثم البروتستانت

وقد أوصى بولس (٥١) الارقاء في رسالته التي بعث بها الى

---

(٥١) ولد هذا القديس في السنة الثانية الميلادية من أبوين يهوديين في مدينة طرسوس التي كان لها حق التبعية والوطنية الرومانية وكان اسمه شاول في أول الامر وكان أولا من أشد مضطهدي المتنصرين ولكن ظهرت له رؤيا فبدلت أحواله فدخل في الدين المسيحي وصار داعيا غيورا الى هذا الدين الذي كان يضطهده ويسعى في تقويض دعائمه وبشر بالانجيل عند وثني آسيا وجزائر اليونان ثم عاد الى اورشليم سنة ٥٨ وكان اليهود يكرهونه أشد الكراهة فنصحه اخوانه أن يسعى في تقليل كراهتهم له منعا لاذاهم عنه وبغيهم عليه وحيث ان الديانة النصرانية تحافظ على الشريعة الموسوية فتوجه الى هيكل اليهود في بعض الاحتفالات وأخذ يتمم التطهير الطقسي المنصوص عليه في شريعة اللاويين لكن هذه الواسطة التي كان المراد بها تخليصه من أعدائه كانت

الأَفْسُسِيِّين (٥٢) أن يطيعوا مواليهم مع الخوف والرعب كما يطيعون المسيح عليه السلام وقد أمر الارقاء فى رسالته الاولى الى تِيمُوثَاوُس (٥٣) ان يعتبروا ساداتهم أهلا لكل تشريف وتبجيل وأوصى العبيد الذين يكونون مواليهم من النصارى بان

سيما الوقوعه فى أيديهم فانهم قبضوا عليه بحجة انه يسخر بديانتهم فخلصه الحرس الرومانى من أيديهم ولكن فيلكس والى اليهودية من قبل الرومانيين وضعه فى السجن ارضاء لليهود ثم أرسل الحرومية للمحاكمة ويقول قوم انه بقى مسجونا فيها الى أن توفى والمرجح أنه حوكم وظهرت براءته ولكن قبض عليه مرة ثانية واستجلب سخط الامبراطور الرومانى باجاباته فحكم عليه بالقتل اه مترجم

(٥٢) هم سكان مدينة افسس القديمة - *Ephèse* - فى أسيا الصغرى وهى شهيرة بهيكل ديانا الذى يعد من عجائب الدنيا السبع وقد أحرقه رجل اسمه ايراستراتوس فى الليلة التى ولد فيها الاسكندر لنوال الاشتهار ليس الا وهى الآن اطلال بالية قائمة على جزء منها مدينة آجياسلوق وقد توالت على المدينة القديمة امم ودول كثيرة وخرج منها فلاسفة وشعراء ومصورون ونقاشون لهم ذكر وشهرة وقد بنيت فيها كنيسة نصرانية هى من أول الكنائس عهدا وكان على رأسها يوحنا الانجيلى حتى ان بعضهم يقول ان اسمها التركى الحديث وهو أجياسلوق مشتق من لفظتى اجيوس ثيولوجوس اليونانيتان ومعناهما القديس اللاهوتى وهو لقب يوحنا المذكور واجتمعت بها مجامع مسكونية نصرانية لتقرير بعض المسائل الدينية وأما رسالة بولس الى أهلها فكتبها اليهم وهو أسير فى روميه على الاصح وهى تتضمن ستة اصحاحات تنقسم الى قسمين كبيرين تعليمى وعملى وفى مراجعتها غنى عن التفصيل اه مترجم

(٥٣) هو تلميذ بولس الرسول ورفيقه فى السفر والتبشير كان أبوه يونانيا وأمه يهودية فلكى يمنع بولس تذمر اليهود ختنه اه مترجم

يبالغوا فى حسن القيام بخدمتهم ثم قال بان هذه هى تعاليم يسوع المقدسة وانها منطبقة على التقوى ثم وصف بالكبرياء والجهالة كل من علم بغير ذلك ولكنه من جهة أخرى يوصى الموالى باتباع خطة الانصاف فى معاملة أرقائهم وأوصى الارقاء فى رسالته الى تيطس (٥٤) بان يستجلبوا رضا مواليهم فى كل أمر تعظيما وتمجيدا لتعاليم المخلص (سيدنا عيسى عليه السلام) وقد أوصى الحوارى بطرس (٥٥) الارقاء فى رسالته الاولى بان يكونوا خاضعين لمواليهم وأن يخشوهم

---

(٥٤) *Timothée* هو رفيق لبولس وشريك له فى العمل وهو يونانى وقد ناب عن بولس فى قرنثية ودلماسيا وأقيم لخدمة كنائسية فى كريت وهو أول أسقف بها وقد اختلفوا فى صحة نسبة الرسالة المذكورة هل هى من بولس حقيقة أم لا اهـ مترجم

(٥٥) أحد الحوار بين الاثنى عشر ولد فى بيت صيدا من الجليل واسمه الاصلى سمعان وسماه عيسى عليه السلام عندما رآه كيفا ومعناه بالسريانية الصخرة أو الحجر (الصفا) وبطرس مرادف له باليونانية وكان صيادا للسمك فدعى لترك هذه المهنة وأن يكون صيادا للناس وكان هو أحد الثلاثة الذين اختارهم المسيح لينشاهدوا تجليه على جبل طابور وكان له بعض التقدم بين الحوار بين وبناء على ذلك وعلى أمر المسيح له بان يرعى خرافه وانه على تلك الصخرة بنى كنيسته بنى الكاثوليك تعليم رئاسة البابوات كخلفاء لبطرس وأما البروتستانت وغير الكاثوليكيين فيخالفونهم فى أمر السيادة وما يترتب عليها من حقوق الخلافة وكان غيورا على دينه شديد التعلق بعمله جسورا صرف أكثر وقته فى تشييد الكنائس فى فلسطين والكور (المقاطعات) المجاورة لها وتكميل نظامها وهو يعتبر أول أسقف لرومة وقال قوم انه لم يأت هذه المدينة الا فى السنة الاخيرة من حياته ويقال

ولما جاء آباء الكنيسة على إثر الحواريين اقتفوا أثرهم وساروا على سننهم فأباحوا الاسترقاق وأقروه

فقد استند القديس سيبريانوس (٥٦) والبابا القديس غريغوريوس الاكبر (٥٧) على ما قاله القديس بولس وصرحا بضرورة الاقرار

انه صُلب منكسا اجابة لطلبه لانه قال انه لا يستحق أن يصلب كسيده وقد خاطب فى رسالته الاولى المرتدين من اليهود خاصة والمقصود منها تثبيتهم فى الايمان تحت الاضطهاد ودحض ضلالات سيمون والنيقولاويين وأما الثانية فهى موجهة لليهود واليونانيين اه مترجم

(٥٦) هو من أهم آباء الكنيسة اللاتينية ولد فى قرطاجة من أبوين وثنيين فى أوائل القرن الثالث للميلاد ثم تنصر وانتخب أسقفا لوطنه ثم اضطهد حتى اضطر لمغادرته وعاد اليه بعد قليل وأبطل البدع والضلالات التى ظهرت فيه فى غيبته وحصل له جدال عنيف مع البابا اسطفن فى مسألة معمودية الهراطقة وأثبت خلافا لهذا البابا انها غير صحيحة ثم نفى فى عهد الامبراطور فاليريانوس وتوفى بعد ذلك وله مؤلفات كثيرة طبعت وترجمت الى الفرنساوية . (ومحل الاستشهاد هنا كما نبه عليه المؤلف هو الباب ٧٢ من الكتاب ٣ من مؤلفه المسمى *Testimonia*) اه مترجم

(٥٧) فى الباب الخامس من القسم الثالث من كتابه المسمى *Regulæ pastoralæ* كما أشار اليه المؤلف . أقول وهو مولود برومة فى سنة ٥٤٠ وتوفى بها سنة ٦٠٤ كان من أرباب الوظائف الادارية فى الحكومة برومة ثم ترهبن وانتخب لوظيفة البابوية لحسبه ونسبه وتقواه وورعه ودرايته باساليب الادارة ويقال انه سعى فى ابطال الاسترقاق وأسس أديرة كثيرة وهو الذى نصر بريطانيا العظمى والقوط الآريين وقيل انه أحرق الكتب الغير الدينية وأباد كثيرا من الآثار والمعالم الوثنية ولكنهم قد أدحضوا هذه التهم وله مؤلفات كثيرة كانت أحسن طبعة لها فى باريس سنة ١٧٠٥ فى أربعة مجلدات اه مترجم

على الاستعباد وقال القديس باسيلوس (٥٨) بعد أن أورد ما جاء في الرسالة الى أهل افسس ماتعريبه «وهذا يدل على أن العبد يجب عليه طاعة مواليه بقلب سليم تمجيدا لله العلي العظيم» وقال القديس ايزيدوروس (٥٩) من بيلوزة (الطينة بالقرب من الفرما) مخاطبا للرقيق «إني لا انصحك بالبقاء في الرق حتى ولو عرض عليك مولاك تحريرك فانك بذلك تحاسب حسابا يسيرا لانك تكون خدمت مولاك الذي في السماء ومولاك الذي على الارض» وقال القديس توماس من مدينة اكوين (٦٠) «ان الطبيعة خصصت

---

(٥٨) (في الباب الاول من القسم ٧٥ من كتابه الذي اسمه القواعد الادبية *Morales Regulæ* كما أشار اليه المؤلف) وهو الملقب بالكبير ومن آباء الكنيسة اليونانية برع في الفصاحة والمنطق وجد في تحصيل الفلسفة والطبيعيات والطب والشعر والفنون المستظرفة وقد أنشأ مدرسة للبيان نجحت نجاحا عظيما ثم تركها وانقطع للعيشة الرهبانية وكان متى فرغ من العبادة صرف أوقاته مع صديق له في قطع الحجارة وحمل الحطب وغرس الازهار وحفر الاقنية لسقي الاراضي الرملية ولما توفي شيع جنازته جميع سكان المدينة وشارك اليهود والوثنيون النصارى في البكاء عليه اهـ مترجم

(٥٩) (في الفصل ٢١ من الكتاب ٤ من رسائله كما أشار اليه المؤلف) ولم أقف له على ترجمة اهـ مترجم

(٦٠) (في الفصل ١٧ من الباب ١٠ من الكتاب الثاني من تأليفه المسمى *De regimine principum* كما أشار اليه المؤلف) وهو من مشاهير اللاهوتيين ولد سنة ١٢٢٧ ميلادية في قصر روكا سيكا من مملكة نابولي من عائلة عريقة في الحسب

بعض الناس ليكونوا أرقاء» وأيد ما ذهب اليه بالعلاقات المختلفة التي تجعل بعض الاشياء خاضعة لبعضها حسا ومعنى واستشهد على ذلك بالشريعة الطبيعية والشريعة الانسانية (الوضعية) والشريعة الالهية وبما ذهب اليه الفيلسوف ارسطاطاليس

وقد استنتج بوسوئي (٦١) من الفوز والانتصار حق قتل المكسور المقهور ولذلك يقول ان استعباد ذلك المغلوب نعمة ورحمة

كريمة النجار وقد عرض عليه كثير من الباباوات مناصب الكنيسة العالية لما امتاز به من المعارف والتقوى والغيرة على الدين ولكنه رفض كل ذلك وكان أعلم أهل زمانه وأكثرهم معرفة باللاهوت وله مؤلفات كثيرة فيه وفي الفلسفة وغيرهما اﻫ مترجم

(٦١) (في انذاراته الى البروتستانت وغيرهم يراجع في الانذار الخامس المادة ٥٠ من الباب الرابع وهذا الكتاب مطبوع في باريس سنة ١٧٤٣ كما أشار اليه المؤلف) وبوسوئي بياء بين آخرهما مكسورة ممالة أفصح وأبلغ خطيب وواعظ فرنساوي وهو من عائلة شريفة كان أكثر أعضائها حكاما وقضاة وكان يلقي عظاته في الجنائز فيكون لها في القلوب أشد تأثير وعهد اليه تأديب ابن ملك فرنسا فألف له خطابا في التاريخ العام تكلم فيه عن الحكمة الالهية في تقلبات الاحوال على الكنيسة وقد ترجم الى اللغة العربية ورسالة في معرفة الله ومعرفة الانسان نفسه وبعد أن أتم تأديبه ألف كتابا معتبرا في التعليم المسيحي والف لراهبات أسقفيته تأليفين في الدين من أحسن ما كتب في بابهما وقد اجتهد في اقناع البروتستانت بصحة التعليم الكاثوليكي وألف في ذلك كتابا بل قد اتفق مع بعضهم على ضم الكنيستين الكاثوليكية واللوثيرية (البروتستانتية) ولم ينجح وفي أواخر حياته اشتغل بدحض تعليم الاتكال على الايمان دون الاعمال وقد ناظر فنلون الشهير (صاحب كتاب تليماك الذي ترجمه العلامة رفاعه بيك طيب الله ثراه) فغلبه اﻫ مترجم

ولم تتغير آراء الكنيسة فيما يتعلق بالاسترقاق من عهد بوسويه الى يومنا هذا ونحن نستشهد على ذلك بما أورده بعض علماء اللاهوت المتأخرين الموثوق بأقوالهم المعتمد على آرائهم

قال بايى (٦٢) بصحة الاسترقاق معتمدا على ما ورد فى الاصحاح الحادى عشر من سفر الخروج والاصحاح الخامس عشر من سفر الاحبار (٦٣) وعلى تعريفات مختلفة جاءت فى قوانين الكنائس وقال ان الانسان يجوز له أن يبيع نفسه وأن الحرب يترتب عليها حق استعباد العدو واسترقاقه وفى أيامنا هذه قد أقر نيافة بوفييه أسقف ألمان (٦٤) على الاسترقاق فى (فتاواه اللاهوتية) المتخذة أساسا للتعليم فى الاديرة بل انه اعتبر فوق ذلك أن النخاسة تجارة محللة وقد نحا هذا النحو أيضا جناب الاب ليون فى كتابه (العدل والحق)

---

(٦٢) فى كتابه *Theologia dogmatica et moralis, de justicia et jure* فى الجزء الاول الباب الثانى المادة الاولى المسألة الثالثة من القسم الثامن وهذا الكتاب مطبوع فى ديجون سنة ١٧٨٩ كما أشار اليه المؤلف وهو من كتاب اللاهوتيين ولد سنة ١٧٣٠ ميلاديه وتوفى سنة ١٨٠٨ وله كتب كثيرة دينية معتبرة اه مترجم

(٦٣) اسمه بالافرنجية *Lévitique* اه مترجم

(٦٤) *Le Mans* هى بندر مقاطعة السارت فى فرنسا على بعد ٢١٠ كيلومترات من باريس وهى مشهورة بدجاجها وعدد سكانها ٥٥٣٤٧ نفسا وفيها أسقفية اه مترجم

وقد أثبت جناب الاب فوردينيه رئيس دير الروح القدس ان الاسترقاق من جملة النظام المسيحي وصرح بذلك فى كتاب تعليم الديانة المسيحية المخصص للخورنيات (٦٥) بالمستعمرات الفرنساوية وقد نشر هذا الكتاب فى سنة ١٨٣٥ بتصديق من المجلس الدينى فى رومية وقال الاب بوتان (فى صحيفة ٨٩ من كتابه الذى اسمه فلسفة الشرائع المطبوع فى سنة ١٨٦٠) « ان مايتعلق بالحوادث متغير وحينئذ فالاسترقاق الذى يباح فى بعض الاحوال قد لايباح فى البعض الآخر وهو فى كلا الامرين صحيح موافق للديانة » وقد أثبت الموسيو باتريس لاروك فى كتابه الذى عنوانه (الكلام على الاسترقاق عند الامم النصرانية المطبوع فى باريس سنة ١٨٦٤) ان الديانة العيسوية لم تحرم الاسترقاق نصا ولم تلغه عملا وأيد قوله بما ورد عن القديسين من النصوص التى سردناها وبغيرها

وقد قال پيير لاروس (٦٦) (فى المعجم العام الكبير للقرن التاسع

---

(٦٥) وهى القرى التى يقوم بالخدمة الدينية فيها كاهن أو خورى اه مترجم

(٦٦) هو من كبار الناشرين للكتب ومن علماء الادب بفرنسا ولد فى سنة ١٨١٧ واشتغل بالتدريس فى أول الامر ثم عاد وتلقى الدروس فى باريس ثم درس فى احدى المدارس وأسس مكتبة مدرسية طبع فيها كتبه العديدة المختصة بالنحو والتعليم الابتدائى وهى مشهورة متداولة فى مصر أيضا — وله كتابان فى الافكار والكلمات المأثورة هما أزهار لاتينية وأزهار تاريخية ثم ألف موسوعات فى ١٩ جزأ ابتدأ فيها سنة ١٨٦٤ ولها تكملة طبعت سنة ١٨٧٧ وسماها (المعجم العام للقرن التاسع عشر فى اللغة

عشر المطبوع فى باريس سنة ١٨٧٠ جزء ٧ حرف E صحيفة ٨٥٧ عمود ٢ فقرة ٢) « لايحجب الانسان من بقاء الاسترقاق واستمراره بين المسيحيين الى اليوم فان نواب الديانة الرسميين يقرون على صحته ويسلمون بمشروعيته »

وقد ذكر أيضا ان بعض القسس المسيحيين قد اجتهدوا فى تخفيف مصائب الاسترقاق فساعدوا على العتق والتحرير ولكن ذلك انما هو محض اجتهاد ذاتى لاينقض ما سبق لنا تقريره

ثم قال وخلاصة الكلام فى هذا المقام أن الديانة المسيحية قد ارتضت الاسترقاق ارتضاء تاما الى يومنا هذا و يتعذر على الانسان أن يثبت انها سعت فى ابطاله بل قد لزم ظهور أفكار اخرى وانتشار مبادئ جديدة حتى تم الغاؤه فهى الثورة الفرنساوية التى أعدمته بما بثته من مبادئ الحرية وما نادت به من

ان جميع الناس متساوون لدى القانون

---

* الفرنساويه والتاريخ والجغرافيه وغيرذلك) وكتبه فى التعليم الابتدائى تشتمل على المطالعة والنحو وعلم اللغة ومبادئ الانشاء واللغات المدرسية القديمة (أى اليونانى واللاتينى) وأسس جريدتين للتعليم احداهما فى سنة ١٨٥٨ واسمها مدرسة المعلمين والثانية فى سنة ١٨٦٠ واسمها المباراة *La concurrence* وقد توفى سنة ١٨٧٥ ميلادية اه مترجم

الباب الخامس

﴿ الاسترقاق عند أهل الاسلام ﴾

تمهيد

ظهرت الديانة المحمدية وكان الاسترقاق ضاربا أطنابه عند الجاهلية من الاعراب كما كان منتشرا عند غيرهم من الاقوام .

فان قيل هل أقرته الديانة على ما كان عليه قلنا ينبغي قبل الاجابة على هذا أن نلاحظ أولا حال الزمان والمكان اللذين ظهر فيهما الاسلام

وذلك انا بينا في مبدإ هذه الرسالة ان طبيعة الاقليم كان لها دخل في اتساع نطاق الاسترقاق بالمشرق أكثر منه بالمغرب وأتينا على ذكر السبب في ذلك

ولما كان منشأ الديانة المحمدية ببلاد العرب فلا يصعب الوقوف على ما كانت عليه درجة الاسترقاق عند أهل هاتيك البلاد وشغفهم به ومن جهة اخرى فان النبي صلى الله عليه وسلم لقي في مبدإ رسالته بل وفي كل أيامها شدائد ومقاومات بالسلاح وغيره في سبيل نشر الدين الحنيفي فان من أصعب الاعمال ولا جدال ما قام به عليه الصلاة والسلام من اخراج الاعراب من ظلمات الجهالة التي كانوا هائمين فيها ومقاومة الشرك بالله وعبادة الشمس

والكواكب لاجل تعليمهم الاعتقاد بالله واحد وترك ما كان عليه آباؤهم من الاباطيل والاضاليل وهدايتهم الى طريق الفضائل وحثهم على رعايتها واتباع سنتها فكم من مرة تصدى له صلى الله عليه وسلم زعماء القبائل وهددوه وتوعدوه لاستنكافهم ترك ما تتوق اليه أنفسهم من الاستقلال وكراهتهم لكل سلطان يكون عليهم لرسول قد بعثه الله عز وجل

وبهذا يتضح ما كان عليه هياج الافكار وثورة الخواطر فى تلك الايام وحينئذ نقول لما كان النهى عن أمر ألفته الطباع أعواما بل أجيالا واعتادته الاخلاق حتى امتزجت به مما يزيد فى ذلك الهياج وتلك الثورات فلا ينطبق بالضرورة على قواعد الحكمة والتدبير ولا يوافق المصلحة والنظام لم تأمر الديانة الاسلامية بالغاء الاسترقاق مرة واحدة ولكنها لم تقره على ما كان عليه لان اصولها العمومية لم تكن لتنطبق على ما كان جاريا فى ذلك العهد فعملت على إنضاب منبعه وتقليل أثره من الوجود وحصره فى حدود ضيقة على وجه يخالف تماما ما كان عليه فى تلك الايام

قال العلامة جوستاف لوبون فى كتابه الذى سماه تمدن العرب ماتعريبه « ان لفظة الرق اذا ذكرت امام الاوربى الذى اعتاد تلاوة الروايات الامريكية المؤلفة منذ نحو ثلاثين سنة من الزمان ورد على خاطره استعمال أولئك المساكين المثقلين بالسلاسل المكبلين

بالاغلال المسوقين بضرب السياط الذين لايكاد يكون غذاؤهم كافيا لسد رمقهم وليس لهم من المساكن الاحبس مظلم وانى لا أقصد أن أتعرض هنا للبحث عن صحة هذا الوصف وانطباقه حقيقة على ما كان واقعا من الانكليز فى أمريكا منذ سنين قليلة وعما اذا كان من الامور المحتملة أن مالك الارقاء قد قام بفكره أن يسيء معاملتهم ويذيقهم العذاب والهوان بما يكون فيه تلف لبضاعة غالية مثل ما كان الزنجى فى ذاك الزمان أما الحق اليقين فهو أن الرق عند الاسلاميين يخالف ما كان عليه عند النصارى تمام المخالفة »

ألا ان الاسلام قد ابتدأ بتقرير هذه القاعدة

إن المسلم المولود من أبوين حرين لا يجوز استرقاقه فى أى حال من الاحوال

ولعمرى ان فى هذه القاعدة مزية كبرى وفائدة عظمى لانها تخرج من هذا الظلم الفاحش المهين قسما عظيما من العائلة البشرية

وهذه القاعدة هى والحق يقال مفتاح لحل المسألة المعضلة التى حق للعالم المتمدن أن يشتغل بها فى هذا الزمان

أفلا تسعى الدول الاوروباوية فى البحث عن الطرق الفعالة التى يكون بها الغاء النخاسة اذا كان ذلك كذلك فلعمرى انها ما عليها الآن تساعد مصر التى هى عنوان فخار الاسلام فى أفريقيا على

نشر التمدن وبث الحضارة بين قبائل هذه القارة بواسطة الديانة الاسلامية ومتى صار أولئك الوثنيون الفتشيون (٦٧) مسلمين تلاشت النخاسة من نفسها وبطبيعتها حيث إن الاسترقاق لايجوز بين أهل هذا الدين بل قد ورد فى القرآن الشريف نهى لهم عن مقاتلة بعضهم بعضا قال تعالى « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغي حتى تفيء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين » (سورة الحجرات ٤٩ - آية ٩)

الفصل الاول

(فى منبع الاسترقاق)

الحرب هى المنبع الوحيد للاسترقاق ولكن لا على اطلاقه بل ذلك مقيد بشرطين أحدهما أن تكون الحرب قانونية منتظمة والآخر أن يكون القتال مع القوم الكافرين

(٦٧) هذا اللفظ مشتق من كلمة فتسيو البرتغاليه ومعناها الاشياء المسحورة وقد أطلقها البرتغاليون على عبادة الزنوج التى يتوجهون بها للاشياء الدنيئة وهى عبارة عن عبادة الامم الضاربة فى فيافى الهمجية فى قارة أوستراليا وأواسط آسيا وأفريقيا وأمريكا الشمالية والنار أخص معبودات أولئك الاقوام ثم غيرها من العناصر ثم الاشجار والانهار والارواح الطيبة والارواح الخبيثة التى صورها لهم التخريف أو التخويف

اه مترجم

قال الله عز وجل فى كتابه المنزل على نبيه المرسل « قاتلوا (أى قتالا قانونيا) الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله (يعنى الخمر والميسر) ولا يدينون دين الحق (لا يتدينون بدين الاسلام) من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية (ان لم يسلموا) الآية » (فى هذه الآية تمييز بين الوثنيين والكتابيين)

ولذلك كان المسلمون قبل أن يفتحوا بلدا من البلدان يبعثون اليها وفودا للمداولة فى شأن الصلح ويقترحون أمورا تكاد تكون واحدة فى كل البلدان والاقطار وذلك انهم يقولون مامعناه قد أمرنا رئيسنا بقتالكم اذا لم تقبلوا شريعته فكونوا منا تكونوا اخوانا لنا واتبعوا ما فيه صالحنا واقتدوا بشعائرنا حتى لايمسكم سوء منا فان لم تفعلوا فادفعوا لنا جزية سنوية فى مواقيت معينة مادمتم على قيد الحياة ونحن نقاتل كل من يريد أن يلحق بكم ضيرا أو ضررا وكل من يعاديكم باى وجه من الوجوه ونحافظ على محالفتنا لكم بالصدق والامانة فان أبيتم هذا أيضا فليس بيننا وبينكم سوى الحرب ولا نزال نصلى عليكم نار الوغى حتى نتم ما أمرنا به الله عز وجل

ومتى قبل الكفار باحد هذين الشرطين وفاهم المسلمون عهودهم وأنجزوا معهم وعودهم ولم ينحرفوا قط عن هذا السير المحمود وكانوا يعاملون المغلوبين المكسورين باللطف والمجاملة وشاهدنا

على ذلك ما فعله الخليفة عمر بن الخطاب (٦٨) رضى الله عنه فى بيت المقدس (٦٩) (مدينة اورشليم) فانه لم يرض بالدخول فى هذا البلد الحرام الا بفئة قليلة من أصحابه وطلب الى البطريرك صفرينوس

(٦٨) عمر الفاروق ابن الخطاب هو الخليفة الثانى وقد كان فى الجاهلية من ألد أعداء الدين الاسلامى وأكبر المناصبين للنبى صلى الله عليه وسلم ثم ان الله عز وجل أعز به الاسلام اجابة لدعاء سيد الانام وهو أول من تلقب بامير المؤمنين ووضع التاريخ الهجرى ووسع نطاق المملكة الاسلاميه بغزواته وغزوات قواده ففتح الشام وفارس ومصر وبث سراياه الى طرابلس الغرب وهو عنوان العدل ومثال الكمال وشخص الفضل والشهامة وعندى ان قولهم «لا يخشى فى الحق لومة لائم» لا يصح أن ينطبق الا عليه وكيف يتيسر لى ان ألم بلمع يسيرة من حياته الطيبة ومناقبه وفضائله وقد اشتهرت فى الخافقين وعرفها المسلمون والافرنج وأقر له بها جميع الخلق . لعمرى ان المقام لا يساعدنى على ذكر شئ من فضائله فانها تستغرق مجلدات عظيمة ومن أراد الوقوف على ذلك فليراجع الطبرى وابن الاثير وأبا الفداء وأسد الغابة واعلام الناس وكتب السير والتواريخ وغير ذلك من المصنفات العديدة التى باللغة العربية ونذكر من ضمن التواريخ الافرنكية التى كتبت عن هذا الرجل الجليل كتاب الموسيو الكساندر مازا *Mazas* من ضباط أركان الحرب سابقا الذى سماه أعيان الشرق *Les hommes illustres de l'Orient* وكتابه فى مجلدين ومطبوع فى باريس سنة ١٨٤٧ فقد كتب عليه فى الجزء الاول فصلين مطولين من صحيفة ١٠٦ الى صحيفة ١٦٠ وننبه أيضا الى الموسوعات والمعاجم التاريخية المتنوعة المصنفة فى لغات الافرنج اهـ مترجم

(٦٩) كانت تسمى فى أول الامر يبوس أو يبوش *Jebus* ثم سميت اورشليم معرب يرشليم بالعبرانية واختلف العلماء فى أصل هذه التسمية فقال قوم انها يبوش شليم أو يبوش شليمان فوقع فيها الابدال والحذف وذهب آخرون الى أنها من يروشليم أى أساس السلام وقيل من يروش وشليم ومعناه ملك السلام وقيل من أور وشليم أى قرية السلام وقال فى

أن يرافقه فى زيارته لجميع الاماكن الدينية المقدسة ثم أعلن الاهالى بانهم فى أمان تام وأن أموالهم وكنائسهم ستكون محفوفة بالرعاية والاحترام وأن المسلمين لن يصلوا فى الكنائس النصرانية

ولكن الحرب كانت هى الحكم الوحيد اذا أبى الكفار الرضوخ للشروط التى يقترحها المسلمون فاذا دارت الدائرة على الكفار صاروا فى هذه الحالة فقط أرقاء للغالبين بعد أن يصرح الخليفة بذلك تصريحا خصوصيا

ولكن ذلك لا ينبنى عليه حرمانهم الى الابد من الرجوع الى ربوع الحرية فان الحالة التى وقعوا فيها يمكنهم التخلص منها لان أبواب الرحمة لاتزال مفتوحة لهؤلاء المساكين اذ يجوز لهم ان يفتدوا أنفسهم بدفع مبلغ معين كما أن للخليفة أن يطلق سراحهم لوجه

شرح القاموس ماخلاصته وشلم ككتف وجبل أى بكسر اللام وفتحها اسم بيت المقدس بالعبرانية وهو ممنوع من الصرف للعجمة ووزن الفعل وهو بالعبرانية أورشليم ويقال أيضا أورى شلم وأنشد ابن خالويه

وقد طفت للمال آفاقه ✱ عمان فحمص فاورى شلم

ويقال لبيت المقدس أيضا ايليا وبيت المكياش ودار الضرب وصالحون وتسمى أيضا شليم وشلام . هذا ما أردنا تحقيقه من حيث التسمية فقط وأما تاريخها وجغرافيتها فليس من قصدنا التعرض لهما فى هذا المقام وانما ننبه القارئ الى كتابين لهما ارتباط بهذا الموضوع أحدهما الروض المغرس فى فضل بيت المقدس والثانى اتحاف الاخصة بفضائل المسجد الاقصى اه مترجم

الله تعالى فقد ورد فى القرآن الشريف خطابا للرسول عليه الصلاة والسلام « فاذا لقيتم الذين كفروا فضربَ الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشُدّوا الوَثاق فاما منّاً بعدُ واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها الآية » (سورة محمد ٤٧ – آية ٥)

فمن ذلك تتضح ضرورة مراعاة هذه القواعد التى بسطناها حتى يتيسر استرقاق الانسان ومن خالف ذلك وهو عالم متعمد ارتكب اثما عظيما واستحق جزاء شديدا فقد ورد عن أبى هريرة (٧٠) رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه

---

(٧٠) اختلف فى اسمه اختلافا عظيما جدا لم يكن مثله فى الجاهلية والاسلام والارجح ما رواه هو عن نفسه قال كان اسمى فى الجاهلية عبد قيس فسميت فى الاسلام عبد الرحمن وهو الحافظ الكبير وأحد الاخيار المشاهير وكنى بأبى هريرة لهرة صغيرة كانت له فحملها يوما فى كمه فرآه النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا فقال هريرة فقال يا أبا هريرة فلزمه وقد كان اسلامه فى عام خيبر ثم لزم النبى صلى الله عليه وسلم وواظب عليه فى العلم فكان لا يفارقه مطلقا وكان رضى الله عنه من أحفظ الصحابة وكان يحضر ما لا يحضر سائر المهاجرين والانصار حتى شهد له النبى صلى الله عليه وسلم بأنه « حريص على العلم والحديث » وروى عنه أكثر من ٨٠٠ رجل من الصحابة والتابعين وقد ولاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه على البحرين ثم عزله ثم أراده على العمل فأبى عليه . قيل كان يسبح فى اليوم اثنتى عشرة ألف تسبيحة و يقول اسبح بقدر ذنبى وكان هو وامرأته وخادمه يقتسمون الليل للاشتغال بالصلاة وكان يصوم الخميس والاثنين ولما حضرته الوفاة بكى فسئل عن ذلك فقال أبكى على بعد سفرى وقلة زادى وانى أصبحت على مهبط جنة أو نار لا أدرى أيهما يأخذنى . توفى رحمه الله بالمدينة على الارجح فى سنة ٥٧ وقيل ٥٩ للهجرة اهـ مترجم

وسلم انه قال « قال الله ثلاثة (من الناس) أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بي (أى أعطى العهد باسمى) ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه (وفى حديث عبد الله ابن عمر (٧١) عن أبى

---

(٧١) عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشى العدوى أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم وهاجر قبل أبيه فدعا ذلك بعض الناس للظن بانه أسلم قبل أبيه أيضا وهذا لا يصح كان رضى الله عنه كثير الاتباع لآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه ينزل منازله ويصلى فى كل مكان صلى فيه وحتى ان النبى صلى الله عليه وسلم نزل تحت شجرة فكان ابن عمر يتعاهدها بالماء لئلا تيبس وقد أقام بعد النبى صلى الله عليه وسلم ستين سنة يفتى الناس فى المواسم وغير ذلك قال مالك وكان ابن عمر من أئمة المسلمين وقال الشعبى كان ابن عمر جيد الحديث ولم يكن جيد الفقه وكان شديد الاحتياط والتوقى لدينه فى الفتوى وكل ما تأخذ به نفسه حتى انه ترك المنازعة فى الخلافة مع كثرة ميل أهل الشام اليه ومحبتهم له ولم يقاتل فى شىء من الفتن ولم يشهد مع على شيأ من حروبه حين اشكلت عليه ثم كان بعد ذلك يندم على ترك القتال معه وقد قال حين حضره الموت « ما أجد فى نفسى من الدنيا الا أنى لم أقاتل الفئة الباغيه » وكان جابر بن عبد الله يقول « ما منا الا من مالت به الدنيا ومال بها ما خلا عمر وابنه عبد الله » وأراد مروان بن الحكم أن يبايعه بالخلافة وقال له ان أهل الشام يريدونك قال فكيف أصنع بأهل العراق قال تقاتلهم قال والله لو أطاعنى الناس كلهم الا أهل فدك (قرية صغيرة بخيبر فيها نخل وعين) وان قاتلتهم يقتل منهم رجل واحد لم أفعل فتركه مروان وانصرف وكان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الحج وكان يكثر الصدقة وربما تصدق فى المجلس الواحد بثلاثين ألفا (من الدراهم) وكان اذا اشتد عجبه بشىء من ماله قربه لربه وكان رقيقه قد عرفوا ذلك منه فربما لزم أحدهم المسجد فاذا رآه ابن عمر على تلك الحال الحسنة أعتقه فيقول له أصحابه يا أبا عبد الرحمن والله ما بهم الا أن يخدعوك فيقول من خدعنا بالله انخدعنا له وقال نافع دخل ابن عمر الكعبة فسمعته وهو ساجد يقول قد تعلم يا ربى ما يمنعنى من مزاحمة قريش على الدنيا

داود (٧٢) ورجل اعتبد محررا) ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه (العمل) ولم يعطه اجره»

الاخوفك وكان اذاقرأ هذه الآية «ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله» بكى حتى يغلبه البكاء وكان يقول البر شئ هين وجه طليق وكلام لين روى عن النبي وعن جملة من أكابر الصحابة وروى عنه كثير من الصحابة والتابعين وتوفى سنة ثلاث وسبعين وكان سبب قتله ان الحجاج أمر رجلا فسم زج رمحه (أى الحديدة التى فى أسفله) وزحمه فى الطريق ووضع الزج فى ظهر قدمه وانما فعل الحجاج ذلك لانه خطب يوما وأخر الصلاة فقال له ابن عمر ان الشمس لا تنتظرك فقال له الحجاج لقد هممت أن أضرب الذى فيه عيناك قال ان تفعل فانك سفيه مسلط وقيل ان الحجاج حج مع عبد الله بن عمر فأمره عبد الملك بن مروان ان يقتدى بابن عمر فكان ابن عمر يتقدم الحجاج فى المواقف بعرفة وغيرها فكان ذلك يشق على الحجاج فأمر رجلا معه حربة مسمومة فلصق به عند ازدحام الناس ووضعها على ظهر قدمه فمرض منها أياما فأتاه الحجاج يعوده فقال له من فعل بك قال وما تصنع قال قتلنى الله ان لم أقتله قال لا أراك فاعلا أنت أمرت الذى نخسنى بالحربة فقال لا تفعل يا أبا عبد الرحمن وخرج عنه ولبث أياما ومات عن ست وثمانين سنة وقيل أربع وثمانين اه مترجم

(٧٢) هو أبو داود السجستانى المتوفى بالبصرة فى نصف شوال سنة ٢٧٥ هجريه على ما فى كشف الظنون وابن خلكان خلافا لدائرة المعارف التى أثبتت وفاته فى سنة ٢٨٥ سهوا وهو أحد حفاظ الحديث وعلمه وعلله كان فى الدرجة العالية من النسك والصلاح طاف البلاد وكتب عن العراقيين والخراسانيين والشاميين والمصريين والجزريين وجمع كتاب السنن وعرضه على الامام ابن حنبل فاستجاده وقال ابراهيم الحربى عن كتاب السنن هذا ما نصه «ألين لابى داود الحديث كما ألين لداود الحديد» وكان يقول كتبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة ألف حديث انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب يعنى السنن جمعت فيه ٤٨٠٠ حديث ذكرت الصحيح وما يشبهه

وفضلا عن ذلك فقد كان المسلمون يرجعون فى النادر الى ماخولة لهم دينهم من الحق فى استعباد أسارى الحرب وكانوا يكتفون بضرب الجزية عليهم

فمن ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم صالح نصارى نجران (٧٣)

وما يقاربه ويكفى الانسان لدينه من ذلك أربعة احاديث أحدها قوله صلى الله عليه وسلم «انما الاعمال بالنيات» والثانى «من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه» والثالث «لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لاخيه مايرضاه لنفسه» والرابع «الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهة فمن ترك ماشبه عليه كان لما استبان أترك ومن اجترأ على مايشك فيه من الاثم أوشك أن يواقع ما استبان والمعاصى حمى الله من يرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه» وقيل جاء سهل بن عبد الله التسترى فرحب به وأجلسه فقال له يا أبا داود لى اليك حاجة قال وما هى قال حتى تقول قضيتها مع الامكان فقال قد قضيتها مع الامكان قال «أخرج لسانك الذى حدثت به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقبله» فأخرج أبو داود لسانه فقبله . وكانت ولادته رحمه الله فى سنة ٢٠٢ قال ابن السبكى عن سننه «وهى من دواوين الاسلام والفقهاء لا يتحاشون من اطلاق لفظ الصحيح عليها وعلى سنن الترمذى ولاسيما سنن أبى داود» اهـ مترجم

(٧٣) نجران مدينة باليمن تعد من مخاليف مكة (أى من كورها أى من أعمالها) قالوا بناها نجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ولكن العلماء ليسوا متفقين على هذا النسب . فتحت هذه المدينة فى السنة العاشرة من الهجرة صلحا على الفئ (أى الخراج) وبها نخيل وتشتمل على أحياء من العرب ويتخذ بها الادم وهى بين عدن وحضرموت عن صنعاء عشر مراحل . وفيها مكان يسمى كعبة نجران وهى بيعة بناها عبد المدان بن الريان الحارثى على بناء الكعبة وعظموها وكان فيها أساقفة مقيمون اهـ مترجم

(قريبا من اليمن) على جزية سنوية قدرها ألفا ثوب وكذلك صالح الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه نصارى بنى تغلب على جزية فرضها على كل رجل منهم توازى ضعف ما كان مضروبا على كل رجل من المسلمين ولم يخرج عمرو بن العاص (٧٤) رضى الله عنه فى مصر عن هذه الجادة الجيدة فانه اقترح على السكان أن يبقى لهم كمال حريتهم الدينية واقامة العدل للجميع بالقسط والانصاف من غير ما غرض ولا تشيع وعدم انتهاك حرمة المنازل والاملاك واستبدال الضرائب الفادحة الغير العادلة التى فرضها ملوك الروم بجزية سنوية قدرها ديناران (١٥ فرنكا) (٧٥) على كل واحد منهم

وفى أيامنا هذه نرى الحكومات الاسلامية تعامل أسارى الحرب بمقتضى أصول قانون الملل ولا تجرى عليهم أحكام الشريعة الدينية

---

(٧٤) هو من دهاة العرب ومن كبار الصحابة وأهم القواد فى صدر الاسلام وهو الذى كان واسطة فى جعل الخلافة فى يد الامويين وقد وصل البحر الابيض المتوسط بالبحر الاحمر وسيرته مشهورة معروفة تراها فى جميع التواريخ التى كتبت على مصر فى الاسلام فلا حاجة لاطالة الكلام فى هذا المقام اه مترجم

(٧٥) لا شك أن المراد بوضع ١٥ فرنكا بين قوسين فى المتن الافرنكى ان هذه القيمة هى قيمة الدينار الواحد اه مترجم

فظهر مما تقدم بيانه ان الاسترقاق عند المسلمين ليس له إلا مصدر ومنشأ واحد وهذا المصدر يحصره فى حدود ضيقة مع أن مصادره ومنابعه عند الامم الاخرى كانت كثيرة متنوعة

فنى رومة مثلا كان الاسترقاق يصيب أسارى الحرب وأولاد الارقاء والاشخاص الذين قضت بعض أحكام القانون باستعبادهم

ومما ينبغى التنبيه عليه فى هذا المقام ان النخاسين لم يصاحبوا قط الجيوش الاسلامية لسرقة أولاد المغلوبين واستعبادهم وتعريض نسائهم للعساكر لاجل قضاء الاوطار منهن كما كان ذلك حاصلا فى رومة

فان الديانة المحمدية لم تسمح قط بارتكاب أمر فظيع مثل هذا ولذلك يحكم العقل بداهة بان لاصحة لقول من يزعم بان نصوص الدين الاسلامى الشريف تؤيد وتبرر ما هو حاصل على قولهم فى أواسط أفريقيا من اصطياد الرقيق ومعاملتهم بالبشاعة والشناعة والفظاعة فان هذا الدين قد جاء بالعرف والنهى عن المنكر كما لا ينكر

(الفرع الثانى)

﴿فى معاملة الرقيق﴾

ان ما امتازت به الهيئة الاجتماعية فى بلاد المشرق هو انها

بقيت على حالها التى كانت عليها (٧٦) فالعبد هو على الخصوص خادم يعتبر كفرد من أفراد العائلة التى هو فيها فهو أقرب الى مولاه من الخادم عند أهل أوربا.

ولا يكاد الانسان يجد عند المسلمين ذلك الحد الفاصل الذى يجعل بين السيد وبين عبده بونا عظيما وفرقا جسيما فليس الاسترقاق موجبا لشئ من الهوان والصغار كما أن الرقيق ليس من الذين سقطوا عن درجة الاعتبار وحل بهم العار فلفظتهم الجمعية الانسانية واعتبرتهم خارجين عن دائرتها بل تجب معاملته بالرفق واللين فقد ورد فى الكتاب المبين «وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل (٧٧) وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا (أى متكبرا على

---

(٧٦) يريد بذلك أن معاملة العبيد بقيت فى هذا الزمان مثل ما كانت فى الايام السوالف وقد أثبت فى أول الرسالة ان معاملتهم كانت فى الشرق مقرونة بالتلطف والتعطف اللذين لا مثيل لهما فى رومة و بلاد اليونان اه مترجم

(٧٧) ذى القربى صاحب القرابة والجار ذى القربى الذى قرب جواره أو الذى له مع الجوار قرب واتصال بنسب أو دين والجار الجنب بضم الجيم والنون البعيد أو الذى لا قرابة له ومنه عليه الصلاة والسلام «الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار» وأما الصاحب بالجنب فهو الرفيق فى أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل هو المرأة وأما ابن السبيل فهو المسافر أو الضيف اه مترجم

الناس من أقاربه وأصحابه وجيرانه وغيرهم ولا يلتفت اليهم) فخورا (أى يتفاخر عليهم بما أتاه الله) » (سورة النساء ٤ - آية ٣٦)

ومن تأمل فى الشريعة الاسلامية رأى فيها ما يدل على شدة الرغبة فى تخفيف الحد والعقوبة التى تصيب الارقاء قال تعالى « فاذا أحصن (أى الفتيات المؤمنات) فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب» (سورة النساء ٤ - آية ٢٥) (٧٨) فيالله تلك العناية بهذه الطائفة المستضعفة

ومن نظر الى الاحاديث النبوية الشريفة رآها مشوبة بالتعطف والحنان

انظر الى ما رواه الامام على كرم الله وجهه عن النبى صلى الله عليه وسلم «اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم» وعن طريق أم سلمة «اتقوا الله فى الصلاة وفيما ملكت أيمانكم» تر أن مراقبة المالك لله سبحانه وتعالى وخشيته منه فى معاملة عبده مجعولتان بمنزلة

---

(٧٨) اختلف العلماء كثيرا فى عدد آى السور وفى ترتيب الآيات والذى عول عليه المؤلف هو المصحف المطبوع فى ويانة عاصمة بلاد النمسا لتوافق ترتيب آياته مع الترجمة الفرنساويه ومع كتاب نجوم الفرقان فى أطراف القرآن المطبوع أيضا فى أوروبا الذى به يتيسر للانسان معرفة مواضع الآيات الكريمة فى أى السور بعد معرفته كلمة أو كلمتين من الآية التى يريد البحث عنها وأما نحن فقد اعتمدنا على النسخة التى كتبها الحافظ عثمان فى سنة ١٠٩٧ هجريه وطبعت أخيرا فى المطبعة العثمانية بدار السعادة العلية لكثرة تداولها بين المسلمين اه مترجم

المراقبة والخشية المفروضتين عليه فى القيام بواجب الصلاة وهى عماد الدين ومن أهم أركان الاسلام

وفضلا عن ذلك فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول فى مرضه « الصلاة وما ملكت أيمانكم » وكانت هذه آخر كلمة نطق بها قبل وفاته عليه الصلاة والسلام (٧٩)

وقد جاء فى الحديث الشريف مافيه زيادة التصريح والتعريف فقد روى ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « اتقوا الله فى الضعيفين المملوك والمرأة » وفى الاثر الكريم « لقد أوصانى حبيبى جبرائيل (٨٠) بالرفق بالرقيق حتى ظننت أن الناس لاتستعبد ولاتستخدم » أو كما قال

فهل يصح فى شرع العقلاء بعد وقوفهم على هذه الشعائر الغراء أن يتهموا الديانة الاسلامية السمحاء بالتوحش والهمجية

---

(٧٩) راجع الجامع الصغير فى لفظة كان اه مترجم

(٨٠) جبرائيل لفظة عبرانية معناها قوة الله وهو علم ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة والتركيب المزجى على قول قال فى القاموس ان معناها عبد الله أو عبد الرحمن أو عبد العزيز وفيه أربع عشرة لغة أوردها صاحب القاموس وأشهرها جبريل بكسر الجيم وهى لغة الحجاز وبها نطق عليه الصلاة والسلام قال حسان ابن ثابت

وجبريل رسول الله فينا ✻ وروح القدس ليس له كفاء

ومن أراد التوسع ومعرفة هذه اللغات فعليه بمراجعة شرح القاموس يجد كفايته وزيادة اه مترجم

وليس هـذا كل ما فى وسعنا ايراده فقد ورد عن صاحب ديننا الحنيف القويم أنه قال « اخوانكم (أى مماليككم اخوانكم) خولكم (بفتح الخاء المعجمة والواو أى خدمكم لانهم يتخولون الامور أى يصلحونها ومنه الخولى لمن يقوم باصلاح البستان أو التخويل التمليك) جعلهم الله تحت أيديكم (أى ملككم اياهم) فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس (أى من جنس كل منهما والمراد المواساة لا المساواة من كل وجه نعم الاخذ بالاكمل وهو المساواة كما فعل أبو ذر أفضل (٨١) فلا يستأثر المرء على عياله وان كان جائزا قال النووى (٨٢) يجب على السيد نفقة المملوك

---

(٨١) راجع أصل الحديث فى صحيفة ٣٢٠ من الجزء الرابع من شرح البخارى للقسطلانى طبعة ٦ فى مطبعة بولاق سنة ١٣٠٤ اهـ مترجم

(٨٢) بعد ان أطلت البحث والتساؤل عن ترجمة حياته وكدت لا أكتب عنه شيأ توجهت الى الكتبخانة الخديوية فعثرت فيها على كتاب باللغة الالمانية اسمه (حياة الشيخ أبى زكريا يحيى النووى استخرجه من جملة كتب بخط اليد العلامة وستنفلد) وطبعه فى مدينة جوتنجن بالمانيا سنة ١٨٤٩ وقد اعتمد فيه على — ١ — الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية — ٢ — طبقات الشافعية — ٣ — درة الاسلاك فى دولة الاتراك — ٤ — مرآة الجنان — ٥ — تحفة الانام فى فضائل دمشق الشام — ٦ — العقد المذهب فى طبقات جملة المذهب — ٧ — حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة . ثم أورد خلاصات عربية من كل من هذه الكتب وترجمها باللغة الالمانية وخلاصة ما رأيته فيه بالايجاز أنه ولد فى سنة ٦٣١ وكان من أكابر العلماء فى الفنون عامة والفقه واللغة خاصة وكان يقرأ

وكسوته بالمعروف بحسب البلدان والاشخاص سواء كان من جنس نفقة السيد أو فوقه حتى لو قتر على نفسه تقتيرا خارجا عن عادة أمثاله إما زهدا أو شحا لايحل له التقتير على المملوك والزامه بموافقته الا برضاه) ولا تكلفوهم مايغلبهم فان كلفتموهم ما يغلبهم فاعينوهم » عليه لانه وردفى حديث آخر « ان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم » (٨٣)

وقد ثبت الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الاقوال الجميلة المستعذبة

كل يوم اثنى عشر درسا فى فنون مختلفة وكان لا ينام الليل و يكتب حتى تكل يده و يعجز فيضع القلم ثم ينشد

لئن كان هذا الدمع يجرى صبابة * على غير سلمى فهو دمع مضيع

وكان لا يأكل فى اليوم والليلة الا أكلة واحدة ولا يشرب الا شربة واحدة ولم يتزوج وكان كثير السهر فى العبادة والتلاوة والتصنيف صابرا على خشونة العيش والورع وله ترجمة وافية فى شرح المنهاج . و بلغت مؤلفاته ٤٢ وتوفى سنة ٦٧٦ قبل أن يبلغ الخمسين اهـ مترجم

(٨٣) قال حجة الاسلام الغزالى فى الجزء الثانى من الاحياء الذى طبع فى بولاق صحيفة ١٩٩ فى حقوق المملوك مانصه *(فاماملك اليمين فهو أيضا يقتضى حقوقا فى المعاشرة لابد من مراعاتها فقد كان من آخر ماوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل مالا يطيقون فما أحببتم فامسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم »)* اهـ مترجم

بقوله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة خَب ولا متكبر ولا خائن ولا سيء الملكة » (٨٤)

ثم قوى ذلك أيضا بحكم صريح اذ نهى عن التمثيل بالعبيد وأوجب العتق على من فعل ذلك فقد روى لنا ابن جريج (ان زنباعا وجد غلاما له مع جارية له فجدع أنفه وجبّه (٨٥) فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال من فعل هذا بك قال زنباع فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما حملك على هذا فقال كان من أمره كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (للغلام) اذهب فأنت حر فقال يارسول الله فمولى من أنا فقال مولى الله ورسوله

وليتأمل القارئ الى سؤال المجدوع (مولى من أنا) حتى يقف على مقدار أهميته التي لا يراها الانسان لاول وهلة فان الاجابة التي أجابه بها عليه الصلاة والسلام هي تعهد أخذه على نفسه بالقيام بمؤنة المعتوق اذا لم يستطع نوال ما فيه سد رمقه ولذلك لما قبض عليه الصلاة والسلام جاء مولى الله ورسوله الى أبي بكر رضي الله عنه فقال « وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم » فقال « نعم تجرى عليك النفقة وعلى عيالك » فأجراها عليه وعلى عياله حتى

---

(٨٤) الخب بالفتح الخداع الجربز بضم الجيم والباء بينهما راء ساكنة ومعناها الخبيث وسيء الملكة بكسر الميم وسكون اللام الذي يسيء معاملة مماليكه اه مترجم

(٨٥) أى قطع مذاكيره التي هي أعضاء التناسل اه مترجم

قبض فلما استخلف عمر رضى الله عنه جاءه فقال وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «نعم أين تريد» قال مصر قال فكتب عمر الى صاحب مصر أن يعطيه أرضا يأكلها (٨٦)

وقد كانت رعاية الرقيق والعناية بشأنه بالغتين أقصى درجات الشفقة والمرحمة فقد قال ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته عتقه» وفى مذهب أبى حنيفة (٨٧) رضى الله عنه ان الحر يقتل بالعبد وظاهر حديث

---

(٨٦) أقول ان هذا شبيه باستبدال المعاش بأطيان المتعارف كثيرا فى هذا الزمان مثل ذلك التحرير ماورد فى رواية أبى حمزة الصير فى قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم صارخا فقال له مالك قال سيدى رآنى أقبل جارية له فجب مذاكيرى فقال النبى صلى الله عليه وسلم على بالرجل فطلب فلم يقدر عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب فأنت حر وهناك أحاديث كثيرة جدا تدل على أن المثلة من أسباب العتق اه مترجم

(٨٧) أبو حنيفة النعمان ولد سنة ٨٠ هجرية وأدرك أربعة من الصحابة ولم يلق أحدا منهم ولا أخذ عنه وهو أحد الائمة المجتهدين أصحاب المذاهب الاربعة المعتمدة ومذهبه شائع مشهور وهو مذهب الدولة العلية العثمانية وعليه الفتيا فى الامصار وأول من عمل بالرأى والقياس وقد طلب للقضاء مرارا كثيرة فلم يقبل وامتنع عنه مع ما أصابه من الاهانة كان رضى الله عنه عالما عاملا زاهدا عابدا ورعا تقيا كثير الخشوع دائم التضرع حسن الوجه والمجلس والثياب طيب الرائحة لانه كان يتعطر كثيرا الكرم حسن المواساة لاخوانه أحسن الناس منطقا وأحلاهم نغمة قال بعضهم «أقمت على أبى حنيفة خمس سنين فما رأيت أطول صمتا منه فاذا سئل عن الفقه تفتح وسال كالوادى (أى النهر العظيم) وسمعت له دويا وجهارة فى الكلام» وحكايته مع جاره الاسكاف مشهورة تدل على دماثة أخلاقه وحسن رعايته لحقوق المجاورة ومزيد اعتباره

ابن عمر ان الضرب واللطم يقتضيان العتق من غير فرق بين القليل والكثير والمشروع وغيره ولم يقل بذلك أحد من العلماء فهل يستنبط من ذلك أنه لايجوز مس العبد مطلقا . كلا فقد دلت الادلة وأجمع العلماء على انه يجوز للسيد أن يضرب عبده لاللتمثيل به بل لتربيته وتأديبه ولكنه لايجوز له على كل حال أن يجاوز به عشرة أسواط

ولكن هنالك حالة يجوز فيها ضرب العبد وهذا اذا قصر فى أداء واجباته الدينية فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اضرب عبدك اذا عصى الله واعف عنه اذا عصاك» أوكما قال

نعم كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من وصاية أتباعه بالعفو عن الرقيق فقد روى ابن عمر أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له الى كم أعفو عن عبدى فلم يجبه عليه الصلاة والسلام

عند الامراء والحكام وقيل « ان الفقه زرعه عبد الله بن مسعود الصحابى وسقاه علقمة ابن قيس النخعى وحصده ابراهيم النخعى وداسه حماد استاذ أبي حنيفة وطحنه أبو حنيفة » أى أكثر أصوله وفرع فروعه وأوضح سبله فانه أول من دونه ورتبه أبوابا وكتبا وتبعه مالك فى الموطأ وهو أول من وضع كتاب الفرائض وكتاب الشروط وقيل له بم بلغت ما بلغت قال « ما بخلت بالافادة وما استنكفت عن الاستفادة » وقد جمع فيه سبط ابن الجوزى كتابا فى مجلدين كبيرين سماه الانتصار لامام أئمة الامصار توفى رحمه الله فى سنة ١٥٠ على الاصح ورجحوا أنه مات فى السجن لكونه أبى القضاء وقيل ان وفاته كانت فى اليوم الذى ولد فيه الامام الشافعى رضى الله عنه اه مترجم

بشيء فأعاد عليه السؤال مرة ثانية وثالثة ولم يجبه صلى الله عليه وسلم بشيء ولما سأله المرة الرابعة صاح فى وجهه وقال اعف عن عبدك سبعين مرة فى كل يوم اذا أردت نوال الاجر والثواب » أو كما قال (٨٨)

وقد نهى عليه الصلاة والسلام عن تحقير العبد والاستهانة به بتذكيره ما هو فيه من الاستعباد فقد جاء عن أبى هريرة أنه قال قال عليه الصلاة والسلام «لايقل أحدكم عبدى أمتى وليقل فتاى وفتاتى وغلامى» وقد استند أبو هريرة على هذا الحديث فقال رضى الله عنه «لاتقل عبدى لاننا كلنا عبيد الله» ورأى رضى الله عنه رجلا على دابته وغلامه يسعى خلفه فقال له «احمله خلفك ياعبدالله فانما هو أخوك وروحه مثل روحك »

وقد جاء فى كلام الامام على (٨٩) كرّم الله وجهه ماهو خليق

---

(٨٨) لم أقف على نص لهذا الحديث سوى ماورد فى الاحياء فى صحيفة ١٩٩ من الجزء الثانى طبع بولاق * (قال عبدالله بن عمر رضى الله عنهما جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اعف عنه فى كل يوم سبعين مرة) *

(٨٩) ماذا عسانى أذكر من فضائله وقد ألف العلماء فيها تآليف عديدة لاتعد ولا تحصى وقد قال البغدادى صاحب خزانة الادب ولب لباب لسان العرب فى صحيفة ٥٢٧ جزء ٣ بعد أن أورد له يسيرة جدا من ترجمته رضى الله عنه مانصه «ومناقبه العديدة وسيره الحميدة لايحتملها هذا المختصر» أتدرى ماهو هذا المختصر الذى يشير اليه البغدادى . هو خزانته التى فى أربعة أجزاء المطبوعة فى بولاق سنة ١٢٩٩ ويبلغ عدد صفحاتها ٢٤١٥ فقط اهـ مترجم

باسمه من العلو والسمو وجدير به من كرم الاخلاق وحسن الشمائل فقد قال « إنى لأخجل من نفسى اذا استعبدت رجلا يقول الله ربى » أليس هذا الكلام صادرا عن نفس زكية أبية

وقد أوصى عليه الصلاة والسلام المولى بأنه اذ أتاه خادمه (حرا أو عبدا ذكرا أو أنثى) فليجلسه معه ليأكل أو فليناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين فهلا يرى المنصف فى ذلك سعيا فى احكام التقريب واستكمال الاتصال بين السيد ومولاه

وقد ورد الشرع الشريف بالحث على تعميم التربية والتعليم ونشر أنوارهما وفوائدهما فى كل مكان على كل انسان لا يستثنى من ذلك الارقاء ولا العبدان فقد قال عليه الصلاة والسلام «من كانت له جارية فعلمها وأحسن اليها وتزوجها كان له أجران » فى الحياة الاخرى أجر بالنكاح والتعليم وأجر بالعتق (٩٠)

فهلا ترى فى ذلك دليلا قاطعا وبرهانا ساطعا على أن الشريعة الاسلامية لا تحث فقط على معاملة الرقيق بالحسنى بل تامر أيضا بتهذيبه وتأديبه .

---

(٩٠) ليقابل العقلاء المنصفون هذا الحديث بما قضى به القانون الاسود فى المستعمرات الفرنساوية فانه حرم حضور ذوى الالوان الى فرنسا للتغذى بألبان المعارف واقتطاف ثمرات التأديب والتهذيب (انظر صحيفة ٣٨ سطر ٢) اه مترجم

ونستشهد الآن بالتاريخ ونذكر بعض الحوادث الصادقة الصحيحة فنقول

لما كان أبو عبيدة (٩١) رضى الله عنه محاصرا بجيشه كله لبيت المقدس وقد ضيق على المدينة وأهلها رضى صفرونيوس البطريرك بالتسليم وطلب أن يتخابر فى الشروط مع الخليفة عمر ابن الخطاب نفسه فقبل الخليفة رضى الله عنه هذا الطلب

---

(٩١) ابو عبيدة بن الجراح يتصل نسبه مع بيت النبوة فى الجد السابع وهو فهر كان بطلا مشهورا وفارسا معدودا له أعمال عظيمة فى الفتوحات الاسلامية ولذلك لقبه الرسول عليه الصلاة والسلام بأمين الامة وشهد بدرا وقتل أباه يومئذ وأشهر أعماله كانت فى فتوح الشام وكانت له مع الروم هنالك مواقع وأخبار يطول شرحها ظهرت فيها شهامته وجسارته وخبرته بأمر الحروب وبقى فى الجهاد الى ان مات فى طاعون عمواس (قرية بين الرملة وبين بيت المقدس) وكان هينا لينا حليما وقورا رحيما كريم الاخلاق غير متصعب عاملا بالحق واشتهر عند الروم بحسن الشمائل وصدق المقال ولذلك وا قصد فى دمشق صلحه فصالحهم وأمنهم على نفوسهم ورخص لمن لم يسلم اذا أراد أن يخرج من دياره أن يخرج بجانب من أمواله وأعطاهم فرصة الامان ثلاثة أيام من حين خروج من يريد الخروج لا تلحقهم فيها جيوش الاسلام قال من وقف على هذه الواقعة من مؤرخى الافرنج «لو كانت أوصاف هذا الصحابى الجليل الذى كان أمير الجيش الاسلامى فى ذلك العصر مجتمعة فى أمراء جيوش الاعصر الجديدة المشهورة بالتمدن والتقدم لأفادتهم غاية المجد والشرف ونفت عنهم مثالب الجور فأجل أمراء جيوش الدول العظيمة التمدن فى عهدنا هذا لم تبلغ درجة ذلك الامير الخطير الذى هو بين الفاتحين عديم النظير فكل منقبة من مناقب عدله وحلمه ووفائه تخجل أكابر رؤساء كل جيش من جيوش الدول المتأخرة وتزرى بامرائه» اه مترجم

وجاء الى القدس الشريف ومعه غلامه ولم يكن لهما الا ناقة واحدة فكانا يركبانها الواحد بعد الآخر الى أن اقتربا من المدينة وجاء الدور للعبد فأركبه الخليفة وسعى خلفه على أقدامه بهذه الحالة حتى وصل الى معسكر أبي عبيدة فخشى هذا ان أهالى بيت المقدس يحتقرون الخليفة لهذا السبب فقال له ما معناه انى أراك تصنع أمرا لايليق فان الانظار متجهة اليك فقال عمر « لم يقل ذلك أحد قبلك وكلامك هذا يجلب اللعنة على المسلمين وقد كنا أذل الناس وأحقر الناس وأقل الناس فأعزنا الله بالاسلام ومهما نطلب العز بغيره يذلنا الله تعالى » (٩٢)

ولما تولى أبو عبيدة هذا القيادة العامة على الجيوش الاسلامية فى بلاد الشام ارسل لافتتاح حلب مائة رجل من صفوة قريش (وهى قبيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم) وجعل رئيسهم زنجيا

وهنالك شواهد أحسن من التى سبق لنا ايرادها فقد ورد فى التاريخ أن أسامة بن زيد كان مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(٩٢) وقد رأيت فى صحيفة ٢٣٧ من الجزء الثانى من ابن الاثير عند ذكر حوادث سنة ١٨ أن عمر ذهب الى الشام لتعليم الناس قسمة المواريث « فسار عن المدينة واستخلف عليها عليا بن أبي طالب واتخذ أيلة طريقا فلما دنا منها ركب بعيره وعلى رحله فرو مقلوب وأعطى غلامه مركبه فلما تلقاه الناس قالوا أين أمير المؤمنين قال أمامكم يعنى نفسه » اه مترجم

وكان يحبه كثيرا وكان يقعده وهو صغير هو والحسن بن علىّ على ركبتيه ويلاعبهما ويقبلهما ويدعو لهما فلما كبر أسامة ورأى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم استعدادا لقيادة الجنود أمّره على جيش أرسله فى السنة الحادية عشرة من الهجرة لفتح فلسطين وكان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما (وهما اللذان توليا الخلافة بعد وفاته عليه الصلاة والسلام) فى هذا الجيش تحت امرته ولكنه اضطر الى العودة للمدينة المنوّرة لجملة أسباب منها مرض مولاه عليه الصلاة والسلام فدخل اليه وكان مريضا لايتكلم وقد ثقل عليه المرض فجعل يرفع يده الشريفة الى السماء ويضعها عليه علامة للدعاء حتى اذا قبضه الله اليه وعلمت الاعراب خبر انتقاله الى دار البقاء نكصوا على أعقابهم مرتدين وخلعوا حلية هذا الدين فرأى أبو بكر رضى الله عنه ان أول واجب عليه هو الاهتمام بملاشاة هذه الثورة قبل أن يستفحل أمرها ويتفاقم شرها فعمل بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبقى أسامة على رأس الجيش وأمره بالزحف على الثائرين من أهل الردة ولكن الانصار قالوا لعمر قل لابى بكر أن يولى أمرنا أقدم سنا من أسامة فلما أبلغه الرسالة أخذ أبو بكر بلحيته وقال ثكلتك أمك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله وتأمرنى بعزله ثم خرج أبو بكر حتى أتى الجنود وشخصهم وشيعهم وهو ماش وأسامة راكب فقال له أسامة

ياخليفة رسول الله لتركبن أو لانزلن فقال والله لانزلتَ ولاركبتُ (٩٣) وما علىّ ان أغبر قدمى ساعة فى سبيل الله .... وعند الرجوع قال لأسامة إن رأيت أن تعيننى بعمر فافعل (٩٤) فأذن له ثم أوصاهم فقال لاتخونوا ولا تغدروا ولاتغلوا (٩٥) ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا وتحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا وسوف

---

(٩٣) انظر كيف قدمه على نفسه فى المخاطبة وكيف ان أسامة راعى هذا الادب أيضا فى خطابه للخليفة فهذا دليل صادق على أن ما اصطلح عليه الافرنج الآن من أن المتكلم يؤخر نفسه عن غيره فيقول فلان وفلان وأنا فعلنا كذا مثلا هو من ضمن الآداب الاسلامية السنية وان كان المسلمون فى هذا الزمان لا يعملون بهذه القاعدة الادبية الجميلة اهـ مترجم

(٩٤) انظر الى تلطف الصديق رضى الله تعالى عنه ورفقه فى الطلب الى أسامة اذ يقول (ان رأيت أن تعينني بعمر فافعل) جرى على أن ذلك الى رأى أسامة ناظرا الى أنه هو المولى أمر هذا الجيش من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فله وحده أن يتصرف فى رجاله ولم يلتفت الى مكان نفسه من الخلافة وانه اذا شاء أمر أسامة فائتمر وذكر الاعانة لبيان سبب الطلب وكان له أن يقول (ان رأيت أن تعطينى أو ما شاكله) ولكنه رفق فوق رفق وجعل الاعانة من ناحية أسامة له رفق آخر وكان له أن يقول (ان رأيت أن تعطينى عمر لاستعين به) وكان يجزئ فى بيان السبب ولكنه قصد أن يبين له أن ترك عمر هو اعانة منه للمسلمين لاستبصارهم بآرائه فكان ما يرجع على القوم من منافع رأى عمر هو من مآثر أسامة عليهم فتأمل اهـ مترجم

(٩٥) غل الرجل غلولا اذا خان وقيل هو خاص بالفيئ أى المغنم اهـ مترجم



تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له » الخ وأوصى أسامة بما أمر به صلى الله عليه وسلم (٩٦)

وعند ماجاء عمرو بن العاص لفتح مصر بعث الى المقوقس عظيم القبط وعامل الروم على مصر الوسطى وفدا تحت رئاسة زنجى اسمه عبادة بن الصامت* (٩٧) ليتخابر معه فى شأن الصلح فلما قدم الوفد على المقوقس تقدم عبادة فى صدر أصحابه فهابه المقوقس لسواده وعظم جثته وقال « نحوا عنى هذا الاسود وقدموا غيره يكلمنى » فأجابوا « ان هذا أفضلنا رأيا وعلما وهو سيدنا وخيرنا

---

(٩٦) هو أول من أسلم من الرجال وأول من خرج من ماله لاجل تعبئة الجيوش الاسلامية وأول الخلفاء الراشدين وأعظم من وطد قواعد هذا الدين بثباته وصبره وقوة عزيمته ومن أراد التفصيل فليراجع كتب السير والتواريخ فهى مشحونة بفضائله ومناقبه رضى الله عنه اه مترجم*

(٩٧) هو صحابي جليل شهد المشاهد كلها استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على بعض الصدقات وهو من الخمسة الذين جمعوا القرآن فى عصر النبوة وأرسله عمر بن الخطاب بعد فتح الشام الى حمص ليعلم أهلها القرآن ويفقههم فى الدين روى عنه جماعة من أكابر الصحابة ومن التابعين وهو أول من تولى قضاء فلسطين وهو من الذين بايعوا النبي عليه الصلاة والسلام على أن لا تأخذهم فى الحق لومة لائم وتوفى سنة أربع وثلاثين على المشهور . اه مترجم

والمقـدم علينا وانما نرجـع جميعا الى قوله ورأيه وقد أمره الامير دوننا بما أمره وأمرنا أن لا نخالف رأيه وقوله » فقـال المقوقس « وكيف رضيتم أن يكون هـذا الاسود أفضلكم وانما ينبغي أن يكون هو دونكم » فقالوا « كلا إنه وان كان أسود كما ترى فانه من أفضلنا موضعا وأفضلنا سابقة ورأيا وعلما وليس ينكر السواد فينا» وحينئذ اذ عن المقوس لسماع أقواله وطلباته (٩٨)

مما أوردناه من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والشواهد التاريخية يحق لنا الامل بأن حضرة الكردينال لافيجرى يدرك أن الارقاء لهم فى البلاد الاسلامية نفس الحقوق التى يتمتع بهـا الاحرار وانه لم يصب صوب الصواب حيثما جاهر بـ «أن المسلمين يعتقدون ويعلمون بأن الزنجى ليس من العائلة البشرية وان مقامه يكون بين الانسان والحيوان بل ان بعضهم يجعلونه أدنى من الحيوان »

(الفرع الثالث)

﴿فى نكاح الارقاء﴾

لايكاد الانسان يتمالك من الغيظ والحنق اذا ذكـر الحدود والعقوبات التى فرضـتها أمم الشمال عـلى الرجال والنساء الذين

---

(٩٨) انظر القصة بتمامها والمحاورة التى جرت بينهما فى النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جزء أول صحيفة ١٣ وهو مطبوع فى أوروبا سنة ١٨٥٥ اهـ مترجم

يتزوجون بالارقاء فانهم كانوا يقعون فى ربقة الرق والاستعباد

أما شريعة الوزيقوط فكانت من القساوة بحيث لم يسمع لها بمثيل اذ قد نصت « على أن المرأة الحرة التى تتزوج برقيقها أو بعتوقها تحرق هى وهو وهما على قيد الحياة »

فانظر الآن الى ماقرره الاسلام فيما يختص بهذا النوع من الانكحة قال الله تعالى « ومن لم يستطع منكم طولا (أى غنى واعتلاء وأصله الفضل والزيادة) أن ينكح المحصنات المؤمنات (أى يعتلى نكاح المحصنات أو من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات الحرائر لقوله) فما ملكت أيمانكم (من فتياتكم المؤمنات) » (سورة النساء ٤ - آية ٢٥) (٩٩) ثم قال عز من قائل فى هذه الآية أيضا « فانكحوهن باذن أهلهن (يريد أربابهن) وآتوهن أجورهن (أى أدوا اليهن مهورهن باذن أهلهن) بالمعروف (بغير مطل واضرار ونقصان) محصنات (عفائف) غير مسافحات (غير مجاهرات بالسفاح) ولامتخذات أخدان (أخلاء فى السر) »

وقد قال تعالى فى سورة النور ٢٤ - آية ٣٢ (وفى الاصل ٢٩)

« وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم (أى عبيدكم)

---

(٩٩) وفى الاصل آية ٢٩ وهو بحسب ترتيب القرآن المطبوع فى أوروبا كما سبقت اليه الاشارة وقد أكملت الآية ونقلت تفسيرها من القاضى البيضاوى اه مترجم

وامائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله » (١٠٠) ولم يهمل النبي عليه الصلاة والسلام الحث على مثل هذه الانكحة والحض عليها واستوصى أمته بها كما سبق لنا بيانه

وانظر الى ماجاء فى التاريخ فان المأمون بن هارون الرشيد مع كونه ابن زنجية فقد نهض به الى مركز الخلافة مااتصف به من العقل والعرفان فكان فى ذلك مرجح له على أخيه الامين

وقد جعلت الشريعة الغراء للسيد تمام الحرية فى تزويج مماليكه الى من يشاء من الارقاء والاحرار ولم تجعل له حقا فى التفريق بين الارقاء بعد تزويجهم ولكنه لايجوز له أن يصرح لعبده وأمته ان يعيشا معا بغير زواج ويجوز له أن يفترش امائه ماعدا الاختين والام وبنتها والخالة وبنتها والعمة وبنتها وغيرهن من ذوى الرحم المحرم

والاولاد الذين يولدون من هذا الوطء يكونون أحرارا وشرعيين

---

(١٠٠) قال القاضى البيضاوى ماخلاصته « انه لما نهى عما عسى يفضى الى السفاح المخل بالنسب المقتضى (أى النسب) للالفة وحسن التربية ومزية الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه عقبه بأمر النكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك عند الطلب وأيامى مقلوب أيائم كيتامى جمع أيم وهو العزب ذكرا كان أو أنثى بكرا كان أو ثيبا وتخصيص الصالحين لان إحصان دينهم والاهتمام بشأنهم أهم وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه . ولا يمنع فقر الخاطب أو المخطوبة من المناكحة فان فى فضل الله غنية عن المال او هو وعد من الله بالاغناء اه مترجم

ويرثون فى أبيهم مثل ماترث أولاد المرأة المعقود عليها وهذه مزية ماوجدت قط فى اية شريعة أخرى

وللسيد أن يتزوج بأمته بعد أن يعتقها ويعطيها مهرا وفى هذه الحالة ترثه هى وأولادها فاذا أبت المعتوقة نكاحه فليس له أن يعيدها تحت سلطته أو أن يلزمها بنكاحه

(الفرع الرابع)

(فى العتق)

ان الديانة الاسلامية تساعد كل المساعدة على العتق فانها تدعو اليه وتحث عليه لانها تعتبره عملا مبرورا مقرونا بجزيل الاجر والثواب واليك الدليل قال تعالى « والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » الآية

وقد أوضح الله عز وجل أثناء كلامه على العقبة التى بين الجنة والنار طريقة اجتيازها فقال « فك رقبة » (سورة البلد ٩٠ — آية ١٣)

ثم أوصى المسلمين أيضا بهذا العمل الانسانى لتكفير ذنوبهم وسيآتهم فقال تعالى « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله » الآية (سورة النساء ٤ — آية ٩٢)

وقال تعالى فى سورة المائدة ٤ ـ آية ٨٩ وفى الاصل ٩١ «لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته .... تحرير رقبة »

واذا كان رمضان وأفطر احد المسلمين فعليه ان يكفر عن ذلك باطعام مسكين ولكن اذا أفطر بالجماع كانت كفارته فك الرقبة (١٠١)

ولننظر الآن الى ماجاء فى الاحاديث النبوية الشريفة روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من اعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار » قال الفقهاء ويستحب أن يكون العبد سليما من العيوب

وعن البراء بن عازب (١٠٢) قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال دلنى على عمل يقربنى من الجنة ويبعدنى من النار

---

(١٠١) هذا يتمشى على مذهب الامام الشافعي اذ حكم المفطر عنده أنه اذا أفطر عمدا على غير الجماع وجب عليه القضاء فقط قبل أن يحل رمضان الثانى فاذا حل الثانى ولم يقض الاول لزمه مع القضاء عن كل يوم مد مما يطعم به أهله أما اذا أفطر عمدا بالجماع لزمه القضاء والكفارة وهى صوم ستين يوما متتابعة أو اطعام ستين مسكينا أو فك رقبة مؤمنة وبهذا تعلم أن اطلاق الاصل فى لزوم الكفارة عند الافطار على غير الجماع غير صواب اهـ مترجم

(١٠٢) البراء بن عازب هو أحد الانصار شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة غزوة وهو الذى افتتح الرى سنة أربع وعشرين صلحا أو عنوة فى قول أبى عمرو الشيبانى وشهد مع على بن أبى طالب الجمل وصفين والنهروان ونزل الكوفة ومات فى أيام مصعب بن الزبير اهـ مترجم

فقال أعتق النسمة وفكّ الرقبة قال يارسول الله أو ليسا واحدا قال لا عتق النسمة ان تنفرد بعتقها وفكّ الرقبة أن تعين فى ثمنها

وعن أبى ذر (١٠٣) قال قلت يارسول الله أى العمل أفضل قال ايمان بالله وجهاد فى سبيله قال قلت أى الرقاب أفضل قال أغلاها ثمنا وأنفسها عند أهلها (١٠٤) قال الفقهاء محله فيمن أراد أن يعتق رقبة واحدة أما لو كان مع شخص ألف درهم مثلا فأراد أن يشترى بها رقبة يعتقها فوجد رقبة نفيسة ورقبتين مفضولتين فالثنتيان أفضل

---

(١٠٣) أبوذر الغفارى أسلم والنبى صلى الله عليه وسلم بمكة أول الاسلام فكان رابع المسلمين أو خامسهم وهو أول من حيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحية الاسلام وصحبه بعد الهجرة الى أن قبضه الله اليه وكان يعبد الله تعالى قبل البعثة النبوية وبايع النبى على أن لا تأخذه فى الله لومة لائم وعلى أن يقول الحق ولو كان مرا وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ماأظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق من أبى ذر » وانه قال « أبوذر يمشى على الارض فى زهد عيسى بن مريم » روى عنه رضى الله عنه عمر بن الخطاب وابنه عبد الله بن عمر (انظر حاشيتى ٦٨ و ٧١) وابن عباس وغيرهما من أكابر الصحابة روى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن الله تبارك وتعالى « ياعبادى انى قد حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ياعبادى انكم تخطئون بالليل والنهار وأنا الذى أغفر الذنوب ولا أبالى فاستغفرونى أغفر لكم الحديث » توفى أبوذر فى سنة اثنتين وثلاثين اهـ مترجم

(١٠٤) لان عتق مثل ذلك لا يقع غالبا الا خالصا اهـ مترجم

ولم تقتصر الشريعة الاسلامية على ذكر العموميات فقط بل قد نصت أيضا على الاحوال الآتية

اذا كان العبد مملوكا لجملة شركاء فيجوز لاحدهم أن يعتقه عن حصته فاذا كان المعتق غنيا وجب عليه أن يقوم العبد قيمة عدل ويدفع الى كل شريك حصته حتى ينال العبد حريته بتمامها ولكن اذا لم يكن عنده من المال مايكفي لتحريره بأكمله عتق العبد بقدر حصته ثم عليه أن يسعى ويعمل للحصول على بقية حريته فقد جاء في الحديث الشريف عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من أعتق شركا له في عبد وكان له مال يبلغ ثمن العبد قوم العبد عليه قيمة عدل فأعطى شركاءه حصصهم وعتق عليه العبد والا فقد عتق عليه ماعتق » وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « من أعتق شقيصا (نصيبا) في مملوك (مشترى بينه وبين غيره) فخلاصه (كله من الرق) عليه في ماله (بأن يؤدي قيمة باقيه من ماله) ان كان له مال والا قوم عليه فاستسعى (بضم التاء أي ألزم العبد) به (أي باكتساب ماقوم من قيمة نصيب الشريك ليفك بقية رقبته من الرق أو يخدم سيده الذي لم يعتقه بقدر ماله فيه من الرق والتفسير الاول هو الاصح عند القائل بالاستسعاء) غير مشقوق عليه (في الاكتساب اذا عجز وقيل لايستغلي عليه في الثمن) » ولننبه في هذا المقام الى أنه لاينبغي الالتفات الى ديانة الشركاء أو الرقيق

ولا ارادتهم لان الشرع صريح ومساعـد على العتق فلذلك يجب عليهم قبول العتق لان ظاهر الحديث « أنه لافرق بين أن يكون المعتق والشريك والعبد مسلمين أو كفارا أو بعضهم مسلمين وبعضهم كفارا »

وعلى كل حال فانه يجوز للعبد أن يفتدى نفسه بالمكاتبة فقد سأل ابن جُرَيْج الفقيه عطاء (١٠٥) فقال «أواجب علىّ (اذا طلب منى مملوكى الكتابة) اذا علمت له مالا أن أكاتبـه » قال « ماأراه الا واجبا »

وعن أبى سعيد المقبرى قال اشترتنى امرأة من بنى ليث بسوق ذى المجاز بسبعمائة درهم ثم قدمت فكاتبتنى على أربعين ألف درهم فأذهبت اليها عامة المال ثم حملت مابقى من المال اليها فقلت

---

(١٠٥) هو ابن جريج بضم الجيم المعجمة وفتح الراء وسكون الياء آخره جيم معجمة كما ضبطه ابن خلكان لا بفتح الجيم المعجمة وكسر الراء وآخره حاء مهملة كما ضبطه المؤلف فى المتن الافرنجى سهوا وهو أحد العلماء المشهورين ويقال انه أول من صنف الكتب فى الاسلام ولد سنه ثمانين وتوفى سـنة ١٤٩ أوسنة ١٥٠ أوسنة ١٥١ هجريه على خلاف فى الاقوال وأما عطاء بن أبى رباح فقد كان من أجلاء الفقهاء وتابعى مكة وزهادها سمع خلقا كثيرا من الصحابة وروى عنه جماعة من كبار العلماء واليه والى مجاهد انتهت فتوى مكة فى زمانها وكان أعلم الناس بالمناسك (قاله قتادة) وأذكرهم فى زمان بنى أمية (قاله ابراهيم بن عمرو بن كيسان) وكانوا يأمرون صائحا يصيح فى الحج « لا يفتى الناس الا عطاء ابن أبى رباح » وكان اسود أفطس أشل أعرج ثم عمى مفلفل الشعر فسبحان من يؤتى الحكمة من يشاء اهـ مترجم

هذا مالك فاقبضيه فقالت لاوالله حتى آخذه منك شهرا بشهر وسنة بسنة فخرجت به الى عمر بن الخطاب فذكرت ذلك له فقال عمر ادفعه الى بيت المال ثم بعث اليها هذا مالك فى بيت المال وقد عتق أبو سعيد فان شئت فخذى شهرا بشهر وسنة بسنة قال فارسلت فأخذته

ومن الجائز أيضا أن يعين الانسان على فك الرقبة

فعن عائشة رضى الله عنها أن بريرة جاءت تستعينها فى كتابتها ولم تكن قضت من كتابتها شيأ فقالت لها عائشة ارجعى الى أهلك فان أحبوا أن أقضى عنك كتابتك ويكون ولاؤك لى فعلت فذكرت بريرة ذلك لاهلها فأبوا وقالوا ان شاءت أن تحتسب عليك فلتفعل ويكون لنا ولاؤك فذكرت (عائشة) ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها صلى الله عليه وسلم ابتاعى فأعتقى فان الولاء لمن أعتق ثم قام فقال «مابال أناس يشترطون شروطا ليست فى كتاب الله تعالى من اشترط شرطا ليس فى كتاب الله فليس له وان شرطه مائة مرة شرط الله أحق وأوثق»

وقد عاون النبى نفسه عليه الصلاة والسلام سلمان الفارسى (١٠٦)

---

(١٠٦) سلمان الفارسى هو مولى رسول الله عليه الصلاة والسلام واحد الصحابة كان ابوه مجوسيا فاتفق أنه هرب منه يوما ولحق بالرهبان ثم قدم الحجاز وأسلم وكان من فضلاء الصحابة و زهادهم وعلمائهم وذوى القربى منه صلى الله عليه وسلم وهو الذى أشار على

على مكاتبته فغرس له بيده المباركة ثلثمائة نخلة وقال أعينوا أخاكم فأعانوه على دفع المال وقدره أربعون أوقية من الذهب لان المكاتبة كانت على غرس ثلثمائة نخلة وأربعين أوقية من الذهب وبذلك تم له نوال حريته

وعتق أم الولد يتم بمجرد افتراش السيد لها متى أقر بأولادها وألحق نسبهم به وفي حياة المولى تكون حالة هذه الأمة شبيهة بحالة الموصى بعتقها فلا يجوز بيعها ولا هبتها ومتى توفى نالت فوق ذلك حريتها بلا مقابل ولو ترك المتوفى ديونا عظيمة

واليك شاهد على تطبيق هذه القاعدة والعمل بها قالت سلامة بنت معقل كنت للحباب بن عمرو ولى منه غلام فلما توفى قالت لى امرأته الآن تباعين فى دينه فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال من صاحب تركة الحباب بن عمرو قالوا أخوه أبو اليسر كعب بن عمرو فدعاه فقال لاتبيعوها وأعتقوها

وهذه الاحكام المساعدة على العتق هي محترمة مقدسة حتى إنه عليه الصلاة والسلام أثبتها وقررها بمناسبة فراشه مع أمته مريم والدة سيدنا ابراهيم عليه السلام

النبي بحفر الخندق حين جاءت الاحزاب وفيه قال النبي صلى الله عليه وسلم « سلمان منا » وسكن العراق وكان يعمل الخوص بيده ويأكل من ثمنه وآخى النبي عليه الصلاة والسلام بينه وبين أبي الدرداء وروى عنه كثير من العلماء وقيل انه عاش ١٥٠ سنة توفى سنة ١٣٤ او ١٣٥ اهـ مترجم

وكذلك حكم العتق فى الامة الغير المسلمة فانها تنال حريتها بمجرد افتراشها لمولاها

وقد جاء فى نصوص الشرع الشريف أحكام أخرى تنيل العبد حريته مثال ذلك اذا صار الرجل عبدا لآخر تجمعه واياه روابط القرابة والنسب سواء كان من الاصول او من الفروع لاية درجة كانت فانه يعتق عليه حتما واذا هرب العبد الاجنبى من بلاده وجاء الى دار الاسلام وأسلم نال حريته ولا يخفى على من له المام بالتواريخ والسير ان كثيرا من العبيد قد التجؤا فى واقعتى الطائف والحديبية الى معسكر النبى عليه الصلاة والسلام فصرح صلى الله عليه وسلم فى الحال بأنهم عتق أحرار ولم يلتفت قط الى مطالبة أسيادهم بهم

قال الله تعالى فى كتابه المجيد «يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار» (سورة الممتحنة ٦٠ - آية ١٠)

ومن نظر الى صيغ العتق ورسومه فى الدين الاسلامى رآها أكثر بساطة وأشد سهولة منها فى الشرائع الاخرى فيكفى فى العتق أن يقول الرجل لعبده «أنت حر لوجه الله تعالى» فيكتسب حريته بل اذا مزح السيد بعتق العبد عتق عليه ولو لم يقبل العبد نوال حريته فانه يصير حرا رغما عن رفضه الحرية (١٠٧)

---

(١٠٧) أين هذا من قول القديس ايزيدوروس «انى لا نصحك بالبقاء فى الرق حتى ولو عرض عليك مولاك تحريرك» (انظر صحيفة ٩٤ سطر ٥) اهـ مترجم



(الفرع الخامس)

(خلاصة ما تقدم)

من الآيات القرآنية الشريفة والاحاديث النبوية الكريمة وأقوال الأئمة وشواهد التاريخ التى سردناها فى المطالب السابقة يتضح أن الديانة الاسلامية قد حصرت من غير شك ولا مراء حدود الاسترقاق وعملت على إنضاب منبعه اذ حتمت شروطا وفرضت قيودا لابد منها لوقوع الاسترقاق وبينت الطرق وأوضحت الوسائل التى يكون بها الخلاص من ربقته فاذا اتفق لشخص مع كل هذه الوسائط ووقع القضاء المحتوم عليه فأوقعه فى الاسترقاق فقد رأينا أن الشريعة الاسلامية لاتتخلى عنه ولاتتركه وشأنه بل تبسط عليه جناح حمايتها ولواء رعايتها فتعتبره جديرا بالشفقه خليقا بالمرحمة لما تراه فيه من الضعف والمسكنة ولذلك وردت فيها الوصايا التى تفرض على الموالى أن يعاملوا أرقاءهم كما يعاملون أنفسهم وأن يسعوا فى إسعادهم ونعومة بالهم وتأديبهم وتهذيبهم وتعليمهم وأن لايزدروا بهم ولا يضعوا من قدرهم وأن يزوجوهم أويتزوجوهن تعجيلا لتخليصهم من ربقة الرق وايرادهم موارد الحرية

هذا وان العتق الذى جئت فقط على ذكر قواعده العمومية وأصوله المهمة على وجه الاجمال لهو والحق يقال من أفخر مايفتخر به الاسلام

فان شريعتنا المحمدية قد سعت فى تقويض دعائم الاسترقاق وتدمير معالمه ولكن كيف العمل هل كان من الموافق المبادرة بتحريم أمر امتزجت به عوائد العالم كله منذ ماوجد الاجتماع الانسانى وتوالت عليه الايام والاعوام والشهور والدهور ألا ان ذلك كان يجر وراءه بلا شك انقلابا عظيما فى نظام الاجتماع وفتنة كبيرة فى نفوس الامم والاقوام فلهذا جاءت شريعة الاسلام بهذه الغاية من طريق آخر تزول امامه الصعوبات وتذلل العقبات بدلا من تهييج العقول واثارة الخواطر والافكار بالغاء الاسترقاق مرة واحدة فخوطب المسلمون بأن يتقربوا الى الله بعتق العبيد المساكين فى ظروف كثيرة وأحوال متنوعة

وحث النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا على السعى فى نوال هذه الغاية الجليلة ولذلك جاءت قواعد العتق فى غاية السعة ونهاية اليسر بحيث يتسنى دائما للرقيق أن يجد فيها طريقا يساعده على الخلاص من الاستعباد اذا طلب ذلك بل ولو لم يطلبه (١٠٨)

---

(١٠٨) قال الموسيو نكاقانسكاللو واحد أعضاء جمعية المعارف المصرية فى كتاب له اسمه (نظام الوراثة على كرسى الخلافة فى الدولة العلية) مطبوع فى الاسكندرية سنة ١٨٧٣ ما تعريبه (صحيفة ٢٣) أما الاسترقاق فلا حاجة لنا باطالة القول على المبادئ الحقة الصحيحة التى قررها القرآن الشريف فان فك الرقبة هو من أفضل الأعمال لدى المولى عز وجل وأجمل القربات لطلب الغفران عن ارتكاب السيئات والدول الاسلامية هى أول من يشكو ويحرم هذه التجارة القبيحة الشنعاء اهـ مترجم

(الفرع السادس)

(في التطبيق والخاتمة)

قد أتينا فيما سبق على ذكر القواعد النظرية التي عليها الاسترقاق ولنبحث الآن بحثا مدققا عن الوجه الشرعي الذي يعامل به الزنوج الذين كانوا يردون علينا ويجلبون الينا من أواسط أفريقيا قبل عقد المعاهدة بين الانكليز ومصر في ٤ اغسطس سنة ١٨٧٧

هل هؤلاء المساكين أرقاء حقا . هذا موضع تجوز الريبة فيه وتدخل الشكوك عليه لاننا اذا طبقنا نصوص الشريعة تطبيقا مدققا وبالحرف الواحد لكننا على اتفاق تام مع قواعدنا الدينية الحاثة على التقدم الساعية في الارتقاء وقلنا انه يلزم لاسترقاقهم شرطان

الاول ـ أن لايكونوا يدينون بدين الاسلام في وقت أسرهم

الثاني ـ أن يكون أخذهم بطريق الحرب

وقد كان يتفق وجود مسلمين بين هؤلاء الزنوج وكان لابد من اعتبارهم أحرارا حيث تقرر انه « لايجوز استرقاق المسلم المولود من ابوين حرين » وأما الآخرون الذين لايدينون بالاسلام فيشترط في استرقاقهم الاسر في حرب شرعية بعد الانذار والاشهار ويشترط أن تكون الحرب في صالح الاسلام وبما ان أمثال هؤلاء الزنوج

كانوا يؤخذون سبيا واختطافا أو بطرق اخرى غير شرعية يقصد منها المنفعة الشخصية الخصوصية فلذلك لايصح القول بانهم حقيقة أرقاء

وفى هذا المقام قد يرد علينا اعتراض مهم وهو (بما أن هؤلاء الزنوج لم يكونوا حقيقة أرقاء فلماذا كنتم تفترشون الاماء وتجعلون منهن أمهات الولد) والسبب فى ذلك سهل بسيط وهو أن السواد الاعظم منا كان يفعل ذلك عن جهل ليس الا من غير زيادة ولانقص على ان البعض كفريق من العلماء كانوا يحتاطون قبل افتراش الاماء فيستعلمون أولا عما اذا كانت الشرائط المطلوبة قد استوفيت كلها والا لم يفترشوهن

فهل بقيت بعد ذلك حاجة تضطرنى الى اختتام القول بان الاسترقاق بالوجه الشرعى لايمكن تحققه ولا يتأتى حصوله فى هذه الايام وانه على ذلك يتسنى للحكومة المصرية بلا منازعة أن تنادى بحرية جميع الموالى الذين بوادى النيل حتى تكون قد أيدت وأوثقت عهد الغاء الاسترقاق وأنه ليحق لى بعد هذا بل يجب على أن أجاهر على رؤوس الاشهاد بأن حضرة الكردينال لافيجرى هو وكل من يرى رأيه ويذهب مذهبه واقعون بلا مشاحة فى أشد الخطاء بعيدون عن الصواب بزعمهم أن ديننا القويم يساعد على اصطياد الرقيق وان الاسلاميين يعتقدون ويقولون بأن الزنوج ليسوا من الانسان بل ان مقامهم أدنى من مقام الحيوان

الباب السادس

(الكلام على الرق فى مصر)

﴿من حيث العرف والاخلاق﴾

ولنأت الآن بكلام وجيز على الكيفية التى عومل بها الرقيق من حيث العرف والاخلاق والعادات فى مصر

اذا صرفنا النظر عن الاحوال الاستثنائية القليلة التى كان بعض الاسياد فيها يهينون عبيدهم و يسيؤن معاملتهم بل ويعدمونهم حياتهم يجمل بنا أن نقول بأن هذه الاعمال لايتأتى الآن تكررها ولا يمكن لاحد الاقدام عليها والفضل فى ذلك راجع لحكومتنا الحالية النظامية الدستورية ولعناية ولى نعمتنا الذى بسط جناح رعايته على جميع افراد رعيته

على اننا نقول أى بلد يخلو من خبثاء شريرين لايرعون عهدا ولاذمة فهل يصح للانسان أن يحمل آثام هؤلاء النفر القليل على عاتق أمة بأكملها

واذا صرفنا النظر عن هذه المغايرات النادرة واعتبرنا حالة الرقيق العامة رأيناها أفضل من حالة الخدم الآخرين فان سيد الرقيق كان يرعاه ويشفق عليه أكثر من غيره لكونه منقطعا لاعائلة

كانوا يؤخذون سبيا واختطافا أو بطرق اخرى غير شرعية يقصد منها المنفعة الشخصية الخصوصية فلذلك لايصح القول بانهم حقيقة أرقاء

وفى هذا المقام قد يرد علينا اعتراض مهم وهو (بما أن هؤلاء الزنوج لم يكونوا حقيقة أرقاء فلماذا كنتم تفترشون الاماء وتجعلون منهن أمهات الولد) والسبب فى ذلك سهل بسيط وهو أن السواد الاعظم منا كان يفعل ذلك عن جهل ليس الا من غير زيادة ولا نقص على ان البعض كفريق من العلماء كانوا يحتاطون قبل افتراش الاماء فيستعلمون أولا عما اذا كانت الشرائط المطلوبة قد استوفيت كلها والا لم يفترشوهن

فهل بقيت بعد ذلك حاجة تضطرنى الى اختتام القول بان الاسترقاق بالوجه الشرعى لايمكن تحققه ولا يتأتى حصوله فى هذه الايام وانه على ذلك يتسنى للحكومة المصرية بلا منازعة أن تنادى بحرية جميع الموالى الذين بوادى النيل حتى تكون قد أيدت وأوثقت عهد الغاء الاسترقاق وأنه يحق لى بعد هذا بل يجب على أن أجاهر على رؤوس الاشهاد بأن حضرة الكردينال لافيجرى هو وكل من يرى رأيه ويذهب مذهبه واقعون بلا مشاحة فى أشد الخطاء بعيدون عن الصواب بزعمهم أن ديننا القويم يساعد على اصطياد الرقيق وان الاسلاميين يعتقدون ويقولون بأن الزنوج ليسوا من الانسان بل ان مقامهم أدنى من مقام الحيوان

الباب السادس

(الكلام على الرق فى مصر)

﴿من حيث العرف والاخلاق﴾

ولنأت الآن بكلام وجيز على الكيفية التى عومل بها الرقيق من حيث العرف والاخلاق والعادات فى مصر

اذا صرفنا النظر عن الاحوال الاستثنائيـة القليـلة التى كان بعض الاسياد فيها يهينون عبيدهم و يسيؤن معاملتهم بل ويعدمونهم حياتهم يجمل بنا أن نقول بأن هذه الاعمال لايتأتى الآن تكررها ولا يمكن لاحد الاقدام عليها والفضل فى ذلك راجع لحكومتنا الحالية النظامية الدستورية ولعناية ولى نعمتنا الذى بسط جناح رعايته على جميع افراد رعيته

على اننا نقول أى بلد يخلو من خبثاء شريرين لايرعون عهدا ولاذمة فهل يصح للانسان أن يحمل آثام هؤلاء النفر القليل على عاتق أمة بأكملها

واذا صرفنا النظر عن هذه المغايرات النادرة واعتبرنا حالة الرقيق العامة رأيناها أفضل من حالة الخدم الآخرين فان سيد الرقيق كان يرعاه ويشفق عليه أكثر من غيره لكونه منقطعا لاعائلة

له وكان يأمره بما لايشعر بالشدة والعنت والعنفوان وما كان يسعى فى تحقيره واذلاله وكان كثيرا مايعتق العبد ليزوجه أوالامة ليتزوجها

وكثير من المسلمين يعتقون أرقاءهم بعد أن يخدموهم عددا معينا من السنين اطاعة لما أمرتهم به شريعتهم الالهية فانها أكثرت من وصايتهم بهذا العمل الخيرى الانسانى بل انهم يزوجون الاماء بابنائهم ويمهرونهن بحسب ثروتهم ويربون اولاد أرقائهم ويعتقونهم ويسعون لهم فى وظائف ينالون منها الرزق وقد خرج من هذه الطائفة ملوك وسلاطين مثل كافور الاخشيدى الذى تولى على بلاد مصر من سنة ٩٦٦ الى سنة ٩٦٨ ميلادية وكثيرين غيره من الموظفين ذوى المناصب السامية والمقامات العالية ممن خدموا بلادهم بالصدق والامانة مثل آدم باشا الذى كان قائد الجيش المصرى ومثل الماس بك الذى كان ميرالايا فى الجيش المصرى المبعوث الى المكسيك فى امريكا على عهد المغفور له سعيد باشا وغيرهما من العدد العديد

ولا يجهل أحد ما كان للطواشية (الخصيان) من الشأن الاكبر والنفوذ المهم فى القسطنطينية وفى مصر القاهرة ففى بلادنا كان أعاظم القوم وسراتهم يتملقون ويتزلفون الى الماس اغا طواشى

والدة عباس باشا وخليل اغا طواشي سعيد باشا ثم خليل اغا المشهور طواشي والدة الخديو السابق وكلهم قد جاؤا من بلادهم فى أحقر الحالات وانكدها فساق الله لهم السعادة و رزقهم الغنى الوافر والثروة الطائلة (١٠٩)

ومتى طعن العبد فى السن أو أصابته عاهة من العاهات أعفى من كل الاعمال اذا كان قد رفض الحرية بعد ان عرضت عليه ولم يكن يشتغل الا بالعناية بأولاد سيده فاذا لم يتيسر له بعد العتق كسب القوت لسبب من الاسباب كان سيده يقوم بنفقته

وكان الرقيق على الدوام ينال مكافأة من الدراهم يعينها له سيده بحسب مقدرته وكثيرا ما ينذر الانسان فك الرقبة اذا أناله الله حاجة يسعى فى طلبها

وأما العبيد البيض (وهم المماليك) فكانت حالتهم أحسن مما لا يقدر اذ كانت المرأة تكاد تكون على الدوام مخصصة لان تكون زوجة الرجل أو ولده أو حظية أحدهما وكانت نساء

(١٠٩) كان اتخاذ الطواشية قبل الاسلام فان نارسيس وهو من أعظم قواد المملكة الرومانية الشرقية كان خصيا ومثله بوطيفار (قطفور) مولى يوسف عليه السلام ومثلهما أوريغانس مفسر التوراة الذى ولد بالاسكندرية فى سنة ١٨٧ ميلادية قد جبّ مذا كير نفسه لئلا تكون أخلاقه عرضة للشك والريبة وغيرهم كثيرون اهـ مترجم

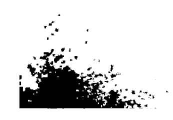
السلاطين وملوك المشرق (الا فيما ندر) وكبار الموظفين من هذه الطائفة

وأما الشبان منهم فكانوا يتربون مع أولاد ساداتهم ويتعلمون ويتأدبون معا على حد سواء حتى اذا بلغوا سنا معينة أعتقهم مواليهم وزوجوهم بناتهم وكانوا يصلون الى تولى المناصب الرفيعة فى ادارة الحكومة ففى أيام المماليك كانت رتبة البكوية لاتعطى الا للعبيد المماليك مثال ذلك على بك وابراهيم بك ومراد بك (الذين قاتلوا الفرنساوية واستبدوا على مصر وأهلها) فقد ابتاعتهم ساداتهم من الاسواق وهانحن نشاهد الآن عتق محمد على وابراهيم باشا وخصوصا عباس باشا متقلدين المناصب السامية وحائزين للرتب الرفيعة والدرجات العالية ومتنعمين بالثروة الطائلة

وقد كان يتفق فى بعض الاحيان ان الاسياد والسيدات يتبنون مماليكهم من الذكور والاناث ولنا على ذلك شواهد كثيرة لاتخفى

وكثيراما كان الموالى يوصون لمماليكهم بجميع أملاكهم وأموالهم وكان العبيد من السودان يشتركون أيضا فى هذه المزية مثل المماليك ولنذكر لك مثالا واحدا وقع فى أيامنا هذه بدلا من الاستشهاد بأمور بعيدة عن ذكرنا ألم تترك المرحومة قادن افندى والمغفور لها اينجو خانم افندى هبات سنية وعطايا واسعة من أرض ودراهم لجميع عتقاهما وخدمهما بلا تمييز فى الالوان

وما كان السودانيين مع مايلاقون من المعاملة بالحسنى أن



يعقدوا آمالهم على الظهور وبلوغ الدرجات العالية مثل ما كان ذلك مقدورا للمماليك ذوى اللون الابيض

ومن هذا كله يمكننا أن نستنتج أن المماليك البيض لم يكونوا أرقاء الا بالاسم

لا يجهل أحد من الناس مابذلته انجلترة من المساعى فى ابطال الاسترقاق وانها لاجل نوال هذه الغاية الانسانية قد عقدت العهود وأبرمت المواثيق مع عدد عظيم من دول أوروبا وآسيا وأمريكا وأفريقية وبعد ان لاقت فى طريقها صعوبات جمة قد فازت بالنجاح ونالت الأرب وقد اشتركت مصر فى ذلك وأبرمت معاهدة مع انجلترة فى ٤ اغسطس سنة ١٨٧٧ من مقتضاها أن الاسترقاق والنخاسة ملغيان فى جميع انحاء القطر المصرى ومن جملته السودان وقد عملت حكومتنا على مقتضى أصول الدين وقواعده من حيث الحض على العتق فلم تكتف بمراعاة نص هذه المعاهدة بل فعلت ماهو زائد عليها فوضعت أقلاما عديدة فى جميع الاقاليم لعتق من يطلب ذلك منها من الارقاء وجميع هذه الاقلام تحت ملاحظة الماهر النشيط الميرالاى شارل شفر بك مدير عموم مصلحة الغاء الرقيق والنتائج التى نجمت عن هذا الترتيب ظاهرة لايصح نكرانها

ولنتمم الآن هذا البحث الصغير بابداء الشكر الجزيل لمولانا

الموفق وخديوينا الاكرم على مابذله من العناية العظمى والرعاية الكبرى فى إكمال هذا المشروع الخيرى ليجعل رعاياه راتعين فى بحبوحة النعيم والحرية أدامه الله مصدرا لاسعاد البلاد ومن فيهامن العباد

ولما كانت مسألة الاسترقاق من المسائل التى شغلت بها أوروبا فى هذه الايام فقد عقدنا النية على أن نشتغل بها بنوع خاص ولنا الامل فى وجه الله الكريم أن يتيح لنا فى يوم من الايام اتحاف جمهور القراء ببحث مطوّل مستوفى على هذه المسألة ونسلك فيه الطريق الذى انتهجناه فى هذه الرسالة الا أنا نوفى المقام ونطيل الكلام فى جميع الابواب وخصوصا فى البابين الاخيرين ثم نضيف اليه مايأتى

اولا — فتاوى القضاة والعلماء فى البلدان الاسلامية المختلفة التى تحرم النخاسة تحريما ينبنى عليه تحريم ماهو واقع من الفظائع فى أفريقيا الوسطى فيعرف بذلك حضرة الكردينال لافيجرى أن علماء الدين عندنا لا يتقاعسون أبدا عن ابداء الحق ولا يخشون فيه لومة لائم

ثانيا — أفكار كبار المؤلفين الذين كتبوا فى الاسترقاق

ثالثا — جدولا احصائيا ببيان العتق بمصر والاوقاف التى خصصت لهم بعد موت مواليهم

رابعا — كلاما وجيزا على الاسترقاق من حيث فن التدبير

والاقتصاد ومن حيث نتائج إلغائه فى بلادنا والوسائل التى ينبغى اتخاذها للمستقبل

ونتكلم فيه أيضا على النخاسة من حيث التاريخ والارتباطات الدولية فنأتى على ذكر كل اتفاق مهم أبرم لهذا الغرض ونقابل الاهم منها بالاهم ونخصص بابا لالغاء النخاسة والاسترقاق فى البلاد المختلفة وللنتائج التى حصلت بعدهذه الاتفاقات ونختم بحثنا ببيان بعض أوجه الخلاف الظاهرى بين نصوص الشريعة الاسلامية و بين شروط المعاهدة التى أبرمتها انجلترة مع مصر ونذكر من طرق التوفيق بينهما مايندفع به الاشكال ان شاء الله

وهنا ندعو جميع الذين تعنيهم هذه المسألة الى التفضل علينا بكل مايلوح لهم من الملحوظات على هذا الكتاب وما عندهم من الآثار واعانتنا بما لديهم من المعلومات والافكار حتى يتيسر لنا بحوله تعالى انجاز صنيعنا الكبير الذى عقدنا النية عليه والله الموفق لعباده وهو الهادى الى سواء السبيل

تم الكتاب

الملحقات

(يقول مترجم هذه الرسالة)

قد اطلعت على جملة فصول بخصوص هذا الكتاب فرأيت أن أذيل هذه الترجمة باهمها وأكثرها فائدة اعلاما بمقامه وتنويها بذكره

(الملحق الاول)

كان القاء هذه الخطبة الفريدة المفيدة على جملة جلسات عقدتها الجمعية الجغرافية الخديوية أولها فى ٢٨ نوفمبر سنة ١٨٩٠ ولما كانت الجلسة التالية فى ١٢ ديسمبر سنة ١٨٩٠ قال الرئيس قبل أن يدعو الخطيب الى اتمام مقالته بأنه لم يتيسر له التصريح بالتكلم لمن له ملحوظات على القسم الاول من مبحث الخطيب لكون الوقت كان قد أزف ولذلك فهو يصرح بالكلام على هذا الموضوع لمن أراده من الحاضرين قبل أن ينتقل الخطيب الى القسم الثانى من بحثه الجليل

فقام حضرة الكونت زالوسكى أحد أعضاء الجمعية وأحد مديرى صندوق الدين العمومى وطلب أن يتكلم فقال ما تعريبه

قد قال حضرة أحمد شفيق فى القسم من رسالته الذى تلاه علينا ان الديانة النصرانية أشبهت شرائع السلف فى الاقرار على مبادئ الاسترقاق وأصوله بل قد استشهد على قوله بنصوص ونقول أوردها من الكتاب المقدس

سيداتى وساداتى — حاشا أن يكون قصدى فتح باب الجدال الدينى فى هذه الجلسة فان هذا ليس محله ولكن بما أن حضرة الخطيب الموقر لم يتردد فى الدخول فى موضوع من هذا القبيل فى معرض بحث لا علاقة له مباشرة بأعمال الجمعية الجغرافية الخديوية فأرى من مقتضيات الشرف والكرامة دحض قضية تناقض الديانة المسيحية والوصايا الانجيلية التى قامت عليها الكنيسة فى اشتغالها باصلاح حالة المجتمع الانسانى منذ قرون عديدة

فقد وقع حضرة أحمد شفيق فى خطا مبين أرى من الواجب على التنبيه عليه واستلفات الانظار اليه وذلك أنه خلط النصرانية أعنى التعاليم المسيحية النصرانية بالشرائع التى لاقاها فى طريقه دين المسيح فى أوساط مختلفة وأعصار متوالية

قال مؤسس هذه الديانة « أعط لقيصر ما لقيصر وأعط لله ما لله » وبناء على ذلك التزمت الكنيسة التى هى أمينة ومفسرة لعقائد الايمان ووصايا الادب الآتى عن طريق الوحى بأن ترتضى بشرائع الهيئة الاجتماعية المنظمة لاحوال الناس كما انها ارتضت فى كل مكان وزمان بالنظامات الحكومية السياسية المتنوعة من ملوكية وجمهورية ومن مطلقة ودستورية وبديهى أن الاعتراف بالشرائع المعمول بها وبالحكومات المنظمة المشكلة لا يعتبر اقرارا على الاصول والقواعد التى روعيت فى سن تلكم الشرائع وتنظيم هاتيكم

الحكومات وقد صدرت من البابا لاوون الثالث عشر براءة عامة في هذه الايام الاخيرة تذكر بهذا المعنى ولم يقصد القديس بولس وغيره من آباء الكنيسة الذين ذكروا لنا بتوصية العبيد بالاذعان والامتثال لحالتهم الا تخفيف شدائد هذه الحالة عليهم واتخذ آباء الكنيسة لذلك وسيلة فعالة موافقة للطبيعة وللاعتقاد وهي أن المساكين الذين صاروا ملكا لمواليهم وشيأ من أشيائهم اذا قبلوا وتحملوا مضض الايام ومحن الزمان وهم صابرون يصيرون أهلا لسكنى الجنان والتمتع بالنعيم في دار البقاء فهل يمكن الانسان أن يعتبر الشفقة التي كان موضوعها العبيد باسم دين مواس كانوا هم في الغالب أول من يقبل عليه ويدين به بمنزلة تثبيت للاسترقاق وتقديس له واقرار عليه وهل يصح القول بأن الملة التي تقول بأن جميع افراد الانسان هم أبناء الخالق وأنه يجب عليهم أن يعتبروا بعضهم اخوانا لبعض ليست هي الملة المنفردة بمناقضة الاسترقاق. ألا ان النصرانية قد رفعت مقام الانسانية في أقدس أسرارها الى اسمى الدرجات ولم تقر قط بجواز الاسترقاق بل يصح لها أن تطالب بحصة عظيمة من السعي في الغائه من الوجود فانها لم تفتر عن بث محبة الله والقريب (الأخ في الآدمية) في الافئدة والقلوب ولا عن التأثير في سريرة الافراد والامم ولا عن المناداة بمبادئ الحرية والاخاء ولنا في العدد العديد من القوانين الكنائسية والنظامات الصادرة من مقام البابوية دليل

صادق وبرهان ناطق بعناية الكنيسة عناية خصوصية بشأن الارقاء مثال ذلك من ابتداء سنة ١٨٤٢ رسائل البابا بيوس الثانى وبولس الثالث وأوربانوس الثامن وبنوا الرابع عشر وغريغوريوس السادس عشر ولذلك ظهر للكنيسة تأثير قوى فى بلاد النصرانية حتى ان هذه البلاد قد أخذت تدريجا فى تخفيف حالة أولئك الافراد من بنى الانسان المحرومين من حريتهم وشخصيتهم القانونية حتى آل بها الامر الى اعادة حقوقهم الطبيعية الاساسية الاولية اليهم

وقد رأينا من الذين لم ينكروا العمل الاحسانى الذى قامت به الكنيسة فريقا يلومها على شدة بطئها فى انجازه وكثرة توانيها فى انفاذه ولكن ألم تكن الكنيسة نفسها منفية مُهدرَة مضطهدة مدة أجيال طوال وهل كان فى وسعها امام العدد العديد من العبيد فى الدولة الرومانيسة وفى ممالك القرون الوسطى وفى المستعمرات لهذا العهد أن تحث على عتقهم وتدعو الى تحريرهم من غير أن يترتب على صنيعها هذا ارتجاج عام فى نظام المجتمع الانسانى

ولنذكر أن سبارتاكوس على رأس جيش من الارقاء قد أزعج رومة وخرب ايطاليا وان العنف الذى حصل فى أيامنا هذه فى تحرير الارقاء بامريكا قد أجج نيران حرب الانشقاق ألا ان الكنيسة لو تطرفت فى عملها لجعلت الهيئة الاجتماعية تحتفظ منها ولذلك

انتظرت بحزم وحكمة حلول الاجل المحتوم فوصلت الى غايتها وهى محافظة على شأنها واختصاصاتها

ورب معترض يقول ان تقدم المدنية وارتقاء الحضارة هو الذى أوجب بالضرورة الغاء الاسترقاق ولم يكن للدين فى ذلك دخل فأقول انى أحترم أفكار غيرى احتراما شديدا يوجب على عدم الافاضة فى تصويب فكرى الذى هو فكر المذهب المعبر عنه فى المانيا بالتاريخى ومن مقتضى هذا المذهب أن الديانة النصرانية هى الدعامة الاولى للتمدن العصرى ولكن لى الامل فى أنى لا أرى أحدا يناقضنى اذا قلت ان نفس سلوك رئيس الاساقفة بالجزائر (يعنى الكردينال لافيجرى) الذى يجهد نفسه جهدا كريما فى الاخذ بناصر أرقاء أفريقية هو أوفى دليل على ما اتصفت به الديانة النصرانية فى هذا الموضوع

فأجاب حضرة أحمد شفيق على ملاحظة حضرة الكونت زالوسكى بأنه مستعد لبيان الاصول التى نقل منها ما ألقاه على الجمعية

ثم أراد أن يسترسل فى الرد عليه فرأى الرئيس أن التوسع فى الجدال ربما يخرج عن موضوع الخطبة ودعا حضرة شفيق بك لاتمام تلاوة مبحثه فأطاع حضرته حتى اذا لم يعد الوقت كافيا تأجلت تلاوة القسم الاخير الى جلسة أخرى ولما حضر فيها حضرة المؤلف أحضر معه نسخا مطبوعة فيها أسماء الكتب المسيحية التى

نقل عنها ما نقل مع بيان أسماء مؤلفيها وتواريخ طبعها والمدائن التى طبعت فيها وخلاصة ماجاء فيها مما له ارتباط بهذا الموضوع (١)

(الملحق الثانى)

نشرت جريدة الاجيبسيان غازت جملة بمناسبة هذه الخطبة قالت فيها انها عدوانية فأجاب عليها المؤلف بفصل بعث به الى الجريدة المذكورة فنشرته فى العدد ٥٠٢٨ الصادر فى ٢٢ ديسمبر وهذا تعريبه

حضرة مدير جريدة الاجيبسيان غازت

تلوت فى العدد الصادر فى ١٥ ديسمبر جملة تختص بالجلسة الاخيرة التى عقدتها الجمعية الجغرافية الخديوية لم يتفطن صاحبها أثناء كلامه على خطبتى فى الاسترقاق الى المعنى الحقيقى الذى يستفاد من أقوالى ولذلك جئت أرجوكم أن تتكرموا بنشر اجابتى هذه فى جريدتكم الغراء

ان الذى حملنى على الشروع فى هذا البحث على الاسترقاق انما هو الخطأ الشائع فى أوروبا بخصوص الديانة الاسلامية اذ يزعم القوم أن نصوصها تساعد على ارتكاب الفظائع الحاصلة فى أفريقية الوسطى فلما أقدمت على هذا العمل رأيت من الواجب

---

(١) انظر مجموعة الجمعية الجغرافية الخديوية الصادرة فى مارس سنة ١٨٩١ نمرة ٦ من السلسلة ٣ صحيفة ٤٧٠ اهـ مترجم

علىّ أن أحيط علم الجمهور بخلاصة تاريخية على الاسترقاق منذ الاعصار الخوالى والقرون السوالف وجرّنى ذلك أيضا الى الكلام عليه فى الديانة النصرانية وحينئذ لم يكن قصدى أن أتهم هذه الملة وانما ذكرت بعض أقوال آباء وعلماء الكنيسة للاعلام بحوادث وقعت وأمور تمت ليس الا فلذلك ليس فى هذا المبحث شئ من العدوان لان غرضى الوحيد انما هو كما لايخفى ان أبرهن على أن الديانة الاسلامية لم تعتبر قط بنى الزنج بمثابة الحيوان بل انها تكثر من وصاية المؤمنين بمعاملتهم بالتى هى أحسن وانها تسعى فى الغاء الاسترقاق وتجنح الى ابطاله

وتقبل ياحضرة المدير مزيد شكرانى ووافر احترامى

أحمد شفيق.

الحائز للدبلومة من مدرسة العلوم السياسية

ومن مدرسة الحقوق العليا بباريس ومن

أعضاء جملة جمعيات علمية

بفرانسا والمانيا

تحريرا بمصر القاهرة فى ١٩ ديسمبر سنة ١٨٩٠

(الملحق الثالث)

رأيت فى عدد ٥١٤ من جريدة المؤيد الاغر الصادرة فى ٢٨ محرم سنة ١٣٠٩ (٣٠ سبتمبر سنة ١٨٩١) الجملة الآتية وهى بنصها

﴿كتاب الرق فى الاسلام﴾

هذا الكتاب الجليل النفيس هو أحسن وأفضل ما صنف فى الدفاع عن الديانة الاسلامية التى قام الكردينال لافيجرى وأشياعه باتهامها بانها هى التى تدعو الى النخاسة وتوصى أهلها بارتكاب الفظائع والقبائح التى يرويها عن أواسط أفريقية . ألفه بالفرنساوية حضرة الفاضل البارع أحمد بك شفيق السكرتير الخصوصى لسعادة ناظر الخارجية وألقاه فى جلسات متوالية على الجمعية الجغرافية الخديوية فكان له أحسن وقع وأعظم تأثير وقد أتينا على ما صادفه من النجاح والقبول فى أعدادنا الماضية وشرحنا أهم أقواله وملاحظاته وقد ألح كثير من الكبراء والفضلاء الذين يهمهم احقاق الحق وتبيان الواقع على حضرة الفاضل الالمعى الاريب أحمد افندى زكى مترجم أول مجلس النظار ومترجم شرف فى الجمعية الجغرافية الخديوية بنقل هذا السفر العديم النظير الى اللغة العربية فلبى الطلب وقام بهذا الواجب خدمة للدين والحق وعما قريب يتجلى

للقراء من أبناء العرب فيرون مافيه من شوارد الفوائد وأوابد الفرائد ويشكرون هذين الفاضلين النجيبين على هذه الخدمة الجليلة

وانا نحيط علم حضرات القراء بقليل من كثير من النجاح الفائق الذى صادفته هذه الرسالة الفريدة فى بابها عند كبراء الافرنج الذين يقدرون الاشياء حق قدرها فقد بعث الموسيو ميسمر رئيس الارسالية الفرنساوية سابقا المشهود له بكثرة المعارف واتساع الاطلاع يهنئ المؤلف ويقول له « لقد أفحمت خصمك وان الحق لفى جانبك ولو أنك وضعت على كتابك الذى طبع على حدته هذا العنوان (رد لاحد المسلمين على الكردينال لافيجرى) لكان نال اشتهارا فائقا وسارت بذكره الركبان » وكذلك الموسيو ريبو أحد نواب فرنسا وناظر خارجيتها أرسل اليه يشكره شكرا جزيلا ومثله الموسيو أندرى لوبون (شقيق العلامة الفيلسوف جوستاف لوبون صاحب كتاب تمدن العرب). الموظف فى وظيفة ناظر القلم الخاص برئيس مجلس السناتو فى فرنسا فانه بعث اليه بعبارات الشكر الرائقة وقد كتب اليه حضرة الموسيو ماسيجلى أحد كبار مدرسى القوانين بمدرسة الحقوق بباريس يقول فيه « انى أشكرك على لطفك الكثير وكرمك الجزيل فى اتحافى بنسخة من كتابك على الاسترقاق وقد تلوته باهتمام زائد والتفات وافر وانى أهنئك على اتمام هذا الصنع الباهر الخ» وكتب اليه الموسيو موجل ناظر الارسالية المصرية

بفرنسا حالا يقول «انى لاشكرك من صميم الفؤاد على اتحافى بنسخة من بحثك المفيد الجليل الذى تحريت فيه الكلام على الاسترقاق ولم يكن لى علم به الا من بضعة سطور رأيتها فى بعض الجرائد أما الآن وقد تلوته من أوله الى آخره فقد وقفت على مكانتـه من الاهمية والخطارة وعلمت مقدار ماستوجبه من البحث والتنقير ولعمرى ان ذلك شئ عظيم وأمر خطير الخ» وكتب اليه الموسيو داجين السكرتير العام بجمعية مقارنة الشرائع ومطابقة القوانين يقول «قد وصل لنا كتابك على الرق فى الاسلام وانى أهديك الشكر الجزيل على لطفك فى اتحافنا بهذا العمل المفيد وسأحيط به علم أعضاء القسم الفرنساوى من جمعيتنا حتى يعينوا واحدا منهم ليقدم عنه خلاصة ننشرها فى كراسة جمعيتنا الخ» وأرسل له أيضا العالم الموسيو دوليل ناظر الكتبخانة الاهلية بمدينة باريس يشكره على تفضله بارسال نسخة من كتابه هذا الى الكتبخانة المذكورة وانه وضعه فيها وسجل اسمه فى دفاترها وقد كتب اليه الموسيو بوكارا أحد المفتشين بقومبانية قنال السويس يقول له «لقد سررت من كتابك سرورا عظيما فانه برهن لى على انك لم تنسنى وقد تلوته بعناية واهتمام وانك أصبت فى البدء بذكر خلاصة تاريخية وجيزة على الاسترقاق ولكنها جوهرية وتكلمت عليه عند جميع الامم فى الازمان القديمة والقرون الوسطى ثم استنبطت هذه النتيجة التى

تدل على اصالة رأيك واصابة فكرك وهى أن الاسترقاق عند جميع أمم المشرق كان مقرونا بتلطف وتعطف لايجد نظيرهما الانسان فى مدينة رومة أو فى بلاد اليونان وقد أوضحت أن الارقاء كانت معاملتهم بالحسنى فى مصر على الدوام وأكدت عن صدق الارادة فى تحسين حالتهم فى هذا الزمان أكثر مما قد كان ثم احتججت على دعاوى الكردينال لافيجرى الذى يقول (ان الزنوج عند المسلمين ليسوا من العائلة البشرية) وانى أجد احتجاجك صحيحا شرعيا وأستصوب كل الاستصواب مافعلته فى هذا الباب من الدفاع عند دينك وعن مليكك وياحبذا لو أن كل فرد من أفراد الفرنساوية يُوَفّق لان يفعل مثل ذلك بالنسبة لدينه وبلاده » ثم ختم كتابه بتكرار الشكر واعادة التهانى على ظهور هذ الكتاب من حيث شكله وموضوعه

وقد كتب اليه الموسيو بجوا المستشار الاكرامى فى ديوان محاسبة باريس يشكره على ارسال نسخة من كتابه وانه تلاه باهتمام كثير وتحقق بذلك أن دروسه التى تلقاها فى فرنسا سيستخدمها فى صالح بلاده وفائدة قومه الخ ثم كتب اليه صاحب الدولة رستم باشا سفير الدولة العلية فى لوندره يقول (وصلنى المكتوب الذى تفضلت بتحريره الىّ فى ١٢ الجارى شهر يوليو سنة ٩١ بقصد ارسال جملة نسخ من كتابك (الرق فى الاسلام) ولعمرى انه لابد أن يأتى خير جسيم

ونفع عميم من مثل هذا العمل الذى موضوعه الاثبات على أن الشريعة الاسلامية لاتقر على اصطياد الزنوج الحاصل فى بعض أقطار أفريقية وانى أشكرك على النسخة التى تفضلت باهدائها الىّ وسيحصل لى مزيد السرور من توزيع النسخ الباقية على الاشخاص وأرباب الجرائد الذين أرى فيهم الاقتدار على بث ماتضمنته بين جمهور الانكليز وتقبل ياحضرة البك أكيد احترامى وغاية اجلالى

هذا وما لبثت هذه الرسالة ان ظهرت فى أوربا حتى أقبلت الجرائد الافرنجية المهمة على تقريظها بما هى أهله بل ان بعضها مثل جريدة لاتوركى وغيرها قد نشرتها برمتها فى أعداد متوالية لانها لم تر وسيلة أفضل من ذلك لاحاطة علم قرائها بماحوته من المواضيع الشائقة والاقوال الصادقة

(الملحق الرابع)

وبعد ان ظهر هذا الفصل فى جريدة المؤيد جاء الى المؤلف مكتوب فى ٣٠ اغسطس سنة ٩١ من المسيو ارتور روونى وهو من كبار العلماء فى فرنسا وله تآليف مهمة على مصر واليك تعريب هذا الكتاب

سيدى

لا يسعنى الا أن أقدم لك الشكر والثناء على كتابك (الرق فى الاسلام) الذى تفضلت باتحافى بنسخة منه . هذا واذا كانت اقامتى فى مصر غير طويلة المدى وجب علىّ أن أتطلع الى معرفة كل ما يتعلق بهذه البلاد التى لها فى فؤادى منزلة سامية قبل أن أبدى أفكارى الخصوصية على ما يجرى فيها من الامور وعلى ذلك فانى أشهد بأن عملك الذى راعيت فى تصنيفه جانب الصدق والامانة قد جاء موافقا لكل ما اتصل بى عن هاتيك الديار وكل ما سمحت لى الظروف بمشاهدته بنفسى . وقد روى لى بعض الذين نزلوا بمصر قبل أربعين سنة مضت أن استرقاق الزنوج ليس الا ضربا من الاستخدام أو شرطا للعمل يسرى على العامل طول حياته ويجوز فسخ هذا الشرط بالسهولة التامة ولا يتخلل هذا الاسترقاق شئ ينافى مبادئ الانسانيه وان استرقاق المماليك ليس الا نوعا من التبنى وكثيرا ما وصل بالارقاء الى مراقى الشرف والسعادة ولقد بلغنى نبأ زنوج

يقومون بإطعام مواليهم حينما طعنوا فى السن وصاروا من المغضوب عليهم أو عبثت بهم أيدى الفقر والاحتياج وماقولك فى ذلك النادى الذى دخل فيه أحد أصدقائى وقيل له بخشوع وتبجيل أن انظر الى هؤلاء الذوات فكلهم من معتوقى الباشا فلان وياحبذا لو وضع كتاب شاف مفصل فى تاريخ الخمسمائة سنة التى حكمت فيها المماليك على مصر فانهم كلهم من الارقاء قد اختارهم مواليهم من أجمل وأذكى الاطفال الذين جيئ بهم من بلاد الشركس أوغيرها

وقد شرح العلامة المقريزى كيفية تربية المماليك بقلعة الجبل بما يشعر بمقدار العناية الفائقة بهم ومزيد الالتفات الى شأنهم فانهم كانوا يرشحون على حسب قواهم العقلية للقتال أو السياسة أو الفنون والملاهى أو العلم والمعارف ولذلك بلغ عصر المماليك مبلغا عظيما من الحضارة والفخامة مع ما كان فيه من انتشار الفوضى والاضطراب فهم الذين ملؤا القاهرة بهاتيك الآثار الباهرة والقصور الفاخرة التى يؤمها الزوار من سائر الاقطار

وقد أتيح لى أن أتمتع برؤية هذه المناظر الرائقة منذ ٣٦ سنة أى قبل أن تشوبها شائبة أو يمسها سوء . . . .

. . . .

وقد استغرب بعضهم أن السلطان قلاون لم يكثر من تشييد العمائر فقال لهم « نعم ولكنى أنشأت حولى قلعة من الاحياء

وستكفينى أنا ومن يخلفنى غائلة الاعادى » يشير بالقلعة الى حلقته وحرسه وبعبارة أخرى دائرة المماليك التى حوله

كل هذه امور يجمل ذكرها ويحسن ايرادها ....

....

ثم لو أمعنا النظر فى حالة زنجى قد حصل فى القاهرة على عيشة راضية لحق علينا بأن نتساءل كم من زنوج غيره قاسوا الاهوال وتجرعوا كأس الحمام أثناء سيرهم فى هذه الطريق التى توصلهم الى مصر

وقد وجد من الخصيان من سعد حظهم وتوفرت لهم أسباب الثروة والهناء مثل خليل أغا الذى ذكرته فى كتابك وقد كان قوى السلطان مسموع الكلمة لدى والدة الخديو السابق حتى حصل له ماحصل اذ دس له السم فى القهوة تخلصا من شره وعتوه ولكن كم من الفتيان قد هلكوا حتى توصل النخاسون على خصى واحد مثل خليل أغا هذا

وانا لنعترف بأنه شتان بين الاسترقاق فى الاسلام وبينه فى المستعمرات بأمريكا .... الخ

(الملحق الخامس)

وجاء في الجريدة المذكورة بتاريخ ١٣ ربيع الآخر سنة ١٣٠٩ (٢٥ نوفمبر سنة ١٨٩١) نمرة ٥٥ مانصه

﴿ الرق في الاسلام ﴾

قرأنا في جريدة الريبو بليكان أورليانيز الفرنساوية الصادرة في أول أغسطس سنة ٩١ مقالة ضافية الذيل خصصها محررها للمدافعة عن الدين الاسلامي وعن نسبته الى هضم الحقوق الانسانية بسبب حكمه على الرقيق وقد أردنا ترجمتها ليطلع عليها قراء جريدتنا الكرام قالت

يحسن بنا أولا أن نسأل قراءنا الكرام أن يسمحوا لنا باداء واجب الدفاع والذب عن الديانة الاسلاميــة المحمـدية فيما يختص بالرق كبحا لجماح الوساوس والاوهام التي علقت بأفكار أتباع بعض الفرق الدينية النصرانيـة فان مصلحة فرنسا السياسـية من حيث هذا الموضوع متوقفة على رفض مزاعم الكردينال لافيجرى التي أخـذ يبثها في كل ناحيـة وصقع والتحرس من نفثات المرسـلين الانكليزيين

وليس بخاف على أحـد أن انكلترة لم تسع في الغاء الرقيق ولم تظهر نفسها في مظهر العدو الألد لهذه العادة الممقوته الا بسبب

قلة اليد العاملة فى مستعمراتها وان الكنيسة الكاثوليكية لما تحركت عواطفها الدينية بعامل التشيع والتعصب جعلت مطمح انظارها ومرمى نواياها الغاء الاسترقاق من قارة أفريقية وكان لها من دراهم رعاياها التى امتلأت بها خزائنها أعظم نصير شد أزرها على مقاومة شريعة لها فى بناء التمدن الحالى اليد البيضاء وقد رميت زورا وافكا بما هى براء منه حتى ان الكردينال لافيجرى زعم (أن المسلمين يعتقدون ان الزنجى ليس من العائلة البشرية والهيئة الاجتماعية الانسانية بل هو واسطة بين الانسان والحيوانات العجم وانهم يعلمون هذه المعتقدات لاطفالهم ويبثونها فى أذهانهم بل ربما برهنوا لهم على انه أخس مقاما من تلك الحيوانات) •

ولقد تحققنا بالبراهين الدامغه ان الكردينال لافيجرى قد استعمل فى دعواه هذه طرق الغش والتدليس ولكى يجتذب تعضيد الفرق الدينية ماديا وأدبيا قد برقش راية دعوته بصبغة الدين فنهج منهجا مناقضا لطريقة تمثيل الحقائق بالصفة التى حقها أن تكون عليها وربما عادت هذه الخطة بالعواقب الوخيمة على فرنسا التى يصح أن يطلق عليها أنها دولة اسلامية

ولو نظرنا الآن الى نتائج مساعى الكنيسة الكاثوليكية فى طريق ابطال الرق لرأيناها على الضد مما كانت تومئ اليه مقدماتها فان جذوة الاسترقاق قد التهبت بدلا عن ان تخمد واتسع نطاق

دائرته عن ذى قبل ولا غرابة فى ذلك لان هذا المذهب الذى قام بالدعوة اليه نصراء الانسانية غير مطابق لمقتضيات الطبيعة التى قضت أن يكون فى الخليقة سيد حر وعبد رقيق ولنا فى تعاليم القديس توماس الذى اجتهد فى نشرها الباباليون الثالث عشر أعظم برهان على مانقول فانه كان يقول لتلامذته « ان فطرة الوجود قضت بأن يكون بعض الجنس البشرى ملكا للبعض الآخر» وكان يستند لذلك على النواميس الطبيعية والالهية التى حتمت أن يكون موجود أقل من موجود ماديا وأدبيا فيكون ذلك تابعا لهذا

وهذا المسيو بوفيه أسقف مدينة مان قد استحسن فى كتابه المسمى (بالنظامات الالهيه) عادة الاسترقاق وصرح بأن الرقيق تجارة محللة ولم يجسر أحد من علماء الدين أن يثير على كلامه غبار الاعتراض وكذلك لم نجد من دافع عن العبيد أو ذب عن حقوقهم حينما كان ملوكنا فى القرن الثامن عشر يشترعون وجوب حرمان العبيد من التمتع بالمزايا والامتيازات التى يتنعم البيض فى بحبوحتها

وليس على ماأظن لكنيستنا دخل فى ابطال الرق بامـلاكنا الفرنساوية أو بالاملاك الاخرى التابعة للدول المختلفة بل الفضل كل الفضل للثورة الفرنساوية التى جعلت المساواة من ضمن مبادئها وخصصت لها سطرا فى قائمة مشروعها الانسانى

أما المنهاج الذى اتبعه فى شريعته النبى العربى محمد بن عبدالله

(صلى الله عليه وسلم) مما يختص بالرقيق فكان مناقضا لمشروع الكنيسة على خط مستقيم وذلك لانه فى العصر الذى بعثه الله فيه برسالته الى الخلق كان يصعب عليه التعرض لامر حلا فى أذواق الشرقيين عموما ومالوا اليه كل الميل فبقى مستمرا مقبولا ولكن كم من آية فى القرآن الشريف أوصت بحسن معاملة الارقاء وحضت على عتقهم وأمرت السادة أن يعلوهم ويرقوا أذهانهم ويدلوهم على مابه سعادتهم فى المستقبل وان يعتبروهم كاعضاء من عائلاتهم

ومسألة العتق كما لايخفى مما حتمه الدين الاسلامى على كل من تملك عبدا من العبيد بحيث ان من يخالف ذلك يكون قد عرض نفسه للعقاب فى الدار الآخرة ولا يحتاج العتق فى الشريعة الاسلامية الى أصول معقدة وعقود مشكلة كما هو الشأن فى القانون الرومانى بل يكفى فى وقوعه صدور لفظ دال عليه من فم المالك ولو على سبيل المزاح

ولقد جاءت طريقة ابطال الرق الآن موافقة كل الموافقة للشريعة الاسلامية ولذلك رضيها وعضدها الملوك والامراء المسلمون مثل سلطان زنجبار والخليفة الاعظم أمير المؤمنين وغيرهما لانها لم تخرج عما أمرت به الديانة الاسلامية فأى ذى ملكة وعقل يعضد لافيجرى فى مزاعمه التى قام بنشرها بعد أن علم أن الدين

الاسلامى غايته من الرق انقاذ العبيـد من حضيض التوحش الى ذروة التمدن

ولهذا نكرر القول بأن المنهج الذى سار عليه فى دعوته هـذه يجلب الاخطار العظمى على البلاد الفرنساوية لاننا كما لايخفى شديدو الارتباط مع أربعة ملايين من المسلمين فى بلاد الجزائر فقط فضلا عن البـلاد الاخرى فـلو نهضنا الآن لاثارة الدين النصرانى على الدين الاسلامى لهيجنا خواطر المسلمين وغرسنا فى قلوبهم بذور الحقد والضـغينة علينا وعرضنا أنفسنا للمكائد التى تـكبدنا فى السـابق تأثيراتها السيئة

يستنتج من جميع ماتقدم أنه لايجمل بنا أن ندع أرباب الدين وقسس الملة المسيحية يتداخلون فى أمور سياسـية لاتعنيهم وليس لها أدنى ارتباط بواجباتهم الدينية التى حقها أن لاتتجاوز جدران الـكنيسـة وزواياها ولا أن نتركهم يرتبكون مع أقوام نسعى نحن فى تحسين علاقاتنا معهم وهم يبـذلون الجهـد فى تـكدير صفوها متذرعين بالنصرة للدين وتـكدير صفو العـلاقات بيننا وبينهم فى الحالة الحاضرة مما يعود علينا بالضرر

هذا وليتحقق القراء الكرام من أن جميع مانسب للـديانة الاسلامية من التهم والفظائع التى تنفر من سماعها الطباع وتاباها

الافكار السليمة ليس لها خيال من الصحة أو ظل من الحقيقة بل كلها أكاذيب وأباطيل يدحضها التاريخ

ولم يكن الرق بالحالة التى هيجت أهل أوروبا وأشعلت جذوة غضبهم وسخطهم الا فى البلاد السودانية التابعة للامم النصرانية أما فى البلاد المستنيرة بنور القرآن الشريف فهو أقل شدة وأقرب الى المبادئ الانسانية فاذا أردنا والحق يقال أن نسعى فى ملاشاته بالكلية فالاستعانة بالوسائل الدينية لاتجدى نفعا

ويجب على فرنسا تجاه هذه المسئلة أن تختط طريقا غير تلك الطريق العقيمة ولن تبلغ أمانيها من ذلك الا بنشر المبادئ المحمدية بين رعاياها المسلمين وبهذه الواسطة تنبث هذه المبادئ فى عقول الوثنيين المجاورين لأملاكها ومستعمراتها فتهدأ أمواج الاسترقاق وتسكن زوابعه اه

الملحق السادس

رأيت فصلا نشرته جريدة الأوبسرافوتور الفرنساوية تحت عنوان

الاسلام والاسترقاق

فى عددها الصادر بتاريخ ١٠ نوفبر سنة ١٨٩١ وهذا تعريبه

اننا لنهتم فى فرنسا اهتماما شديدا بالغاء الاسترقاق من بلاد السودان وقد عملنا أعمالا كثيرة لقمع هذه العادة البربرية التى ترتبت عليها النخاسة ولا نزال نأتى بأعمال كثيرة بسبب انتظام ارسالياتنا وتعضيد جنودنا بأفريقية لها تعضيدا قويا

ولكننا لم تنفرد بهذا العمل الانسانى بل هناك أمم أخرى اقتدت بنا ونسجت على منوالنا

ولذلك نرى من المفيد النافع أن نقف على اجتهاد غيرنا فى هذا الباب فاما نحن فقد أسعدنا الحظ فاطلعنا على الخطبة التى ألقاها أحمد شفيق بك السكرتير الخصوصى لسعادة ناظر الخارجية على الجمعية الجغرافية الخديوية وقد طبعها حضرته فى كراسة على حدتها عنوانها « الرق فى الاسلام » وليس حضرته مجهولا عندنا فقد أرسلته حكومته منذ نعومة أظفاره الى باريس فدأب على الاجتهاد حتى تحصل على أجل الاتعاب وسبر غور المعارف التى يمكن اتحاف وطنه بها واستفادة أهليه منها وقد رجع الى بلاده وهو الآن

فيها فى وظيفة سامية وترك بين ظهرانينا حسن الذكرى وجميل الاحدوثة ولذلك فهو انما يزيد فى ميلنا لمصر وانجذابنا نحوها ولو اننا نأسف على رؤيتها غير مستقلة تمام الاستقلال ويجعلنا ننظر بزيادة الاهتمام الى مليكها الحالى وقد وفاه حقه من المدح والشكر وعطر الاندية بما هو خليق به من آى الحمد والثناء

نعم ان النخاسة قد ألغيت من مصر من سنين عديدة ولكن أحمد شفيق بك أخذ على نفسه أن لايبقى للاسترقاق فيها رسما ولا اسما غير أنه آلى على نفسه أن يتصدى بدحض ماشاع فى أوروبا من أن الديانة الاسلامية تساعد على النخاسة فوفى هذا العمل حقه من العناية والدقة فى مؤلفه الذى نشير اليه

وذلك لانه ابتدأ بذكر خلاصة تاريخية على الاسترقاق عند جميع الامم وفى جميع الاعصار ثم دخل فى الموضوع فأثبت على أن الديانة المحمدية لاتقر على هذه العادة بل تسعى فى الغائها مرة واحدة ولذلك سرد الآيات القرآنية الكريمة والاحاديث النبوية الشريفة ثم الحوادث التاريخية ومنها ينتج أن « الديانة الاسلامية قد حصرت من غير شك ولا مراء حدود الاسترقاق وعملت على إنضاب منبعه اذ حتمت شروطا وفرضت قيودا لابد منها لوقوع الاسترقاق وبينت الطرق وأوضحت الوسائل التى بها يكون الخلاص من ربقته »

ثم قال «فان شريعتنا المحمدية قد سعت فى تقويض دعائم الاسترقاق وتدمير معالمه .... وهل كان من الموافق المبادرة بتحريم أمر امتزجت به عوائد العالم كله منذ ما وجد الاجتماع الانسانى وتوالت عليه الايام والاعوام والشهور والدهور ألا ان ذلك كان يجر وراءه بلاشك انقلابا عظيما فى نظام الاجتماع وفتنة كبيرة فى نفوس الاقوام فلهذا جاءت شريعة الاسلام بهذه الغاية من طريق آخر تزول امامه الصعوبات وتتذلل العقبات بدلا من تهييج العقول وإثارة الخواطر والافكار بالغاء الاسترقاق مرة واحدة فخوطب المسلمون بأن يتقربوا الى الله تعالى بعتق العبيد المساكين فى ظروف كثيرة وأحوال متنوعة

وحث النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا على السعى فى نوال هذه الغاية الجليلة ولذلك جاءت قواعد فى العتق فى غاية السعة ونهاية اليسر بحيث يتسنى دائما للرقيق أن يجد فيها طريقا يساعده على الخلاص من الاستعباد اذا طلب ذلك بل ولو لم يطلبه »

ونحن نعد أنفسنا من السعداء لقولنا واثباتنا أن ديانة غير ديانتنا تنظر الى هذه المسألة التى تشغلنا الآن بمثل العين التى ننظرها نحن بها وهذه السطور القليلة التى أتينا على سردها تجعلنا نتعشم أن يكون لنا فى المباين عضد ونصير لاخصم خصيم

وفضلا عن ذلك فان ماقاله حضرة أحمد شفيق بك يؤيده كتاب القبطان بانجر على الديانة الاسلامية وقد ظهر هذا الكتاب حديثا فقد روى هذا السائح المقدام مايدحض ظن الظانين بأن تعصب المسلمين هو العائق الاكبر للمسيحيين عن افتتاح أفريقية ويؤكد انه فى جملة مرار أصاب منهم مساعدة وعناية يشكرون عليهما

ولذلك فانا نهنئ من صميم الفؤاد حضرة أحمد شفيق بك على البيانات والايضاحات التى أوردها ونعضده على المهمة الجليلة التى أخذ فيها »

موريس بوترى

الملحق السابع

وقدجاء الى المؤلف من حضرة صاحب العطوفة قره تيودورى أفندى سفير الدولة العلية فى بروسل عاصمة البلجيك فى ١٢ نوفمبر الماضى ماتعريبه

عزتلو عزيزى

. . . .

. . . .

. . . .

لاشك انك لاتستغرب عند ماتعلم بان تصنيفك الذى أظهرت فيه البراعة وراعيت فيه جانب الذمة قد حاز مايحق له من القبول التام

عند كل من يهتم بهذه المسألة الخطيرة التي شغل الناس بالجدال فيها الآن

أما أنا فقد درسته درسا مدققا واني ابادر ببثك آيات التهاني الفائقة الصادرة من صميم الفؤاد ومما جعلني مبتهجا مسرورا من تلاوته أن القواعد والاصول التي دافعتُ عنها بنفسي اثناء المناقشة التي وقعت لي بخصوص الكردينال لافيجري وفي نفس المؤتمر الذي عقد اخيرا في بروسل قد صادفت في كتابك تأييدا وتعضيدا مع الآيات البينات والحجج الدامغات والشواهد التي لاتعارض والبراهين التي لاتناقض فان هذه الدلائل غير داخلة في معلوماتي عن الديانة الاسلامية لان معلوماتي هذه هي بالطبع والضرورة غير مستكملة وقد كان في هذه الدلائل دحض لجميع المطاعن الصادرة لاعن حق ولا يقين مع مناقضتها (أي المطاعن) للدين المسيحي نفسه تمام المناقضة ولو أن القائم بها هو من امراء الكنيسة وقد تابعه اشياعه من غير ما روية ولا امعان فقذفوا بها على ديانة يجهلون اصولها وقواعدها وأنت تعلم أنهم من بعد ذلك التزموا بتعديل خطتهم وتقليل وطأتهم وهذا أحسن مايجب عليهم

واني لمسرور لعلمي بانك مشتغل بتصنيف كتاب مستوفى في هذا الموضوع وأنتظره بفروغ صبر لان فتاوى العلماء والقضاة والدلائل الاخرى التي قلت بانك ستوردها فيه يكون بها سدٌ لافواه أولئك

الذين يدعون بخدمة الله والكنيسة ويجعلون مصالحهم وفوائدهم فوق ذلك كله وأنا على يقين من انه لاتقوم لهم بعد ذلك قائمة ولايبدون أدنى اعتراض وانى أكون لك شاكرا اذا تفضلت باتحافى بنسخة من بعد طبعه ولاشك ان ذلك يكون قريبا ان شاء الله وانى أشكرك على ذلك مقدما من جميع جوارحى

....

....

....

وقبل أن اختم هذا الكتاب يلزمنى ان احيطك علما بأنى قد اطلعت باهتمام زائد على محاضر الجمعية الجغرافية الخديوية التى تكرمت بارسالها الى وخصوصا كتابك الذى بعثت به الى جريدة الاجيبسيان غازت فهو لايصح الجدال فيه مطلقا واذكر لك من هذا القبيل امرا قد وقع لى وهو ان الحكومة البرتغالية قدمت مذكرة على (الغاء الاسترقاق والنخاسة فى الاراضى البرتغالية) وقد جاء فيها من الاغلاط الفاضحة والاوهام الفاحشة انه « مع احتلال الانكليز القطر المصرى فما زال به سوق للارقاء وفيه يشترى الوالى نفسه واكابر البلاد وأغنياؤها الارقاء الذكور لتشغيلهم فى أعمال الفلاحة والطواشية لحراستهم والاماء لحريمهم » (فتعجب) ولكنى ابطلت ذلك ودحضته بالحجج والبراهين حتى ذهبت امثال هذه الاقوال

ادراج الرياح بحيث ان هذه الجملة قد اسقطت هي وما يماثلها تلقاء احتجاجي الذي مزجت فيه بين الشدة والحق فلم يظهر لها أثر في المجموعة النهائية المتضمنة اعمال المؤتمر وهذا أمر محتم على تحتيما لامناص لي من القيام به وقد اديته وفزت في ذلك بالسعادة واني لاكون ممتنا شاكرا اذا سنحت الفرصة فبلغت هذه الاحوال المسامع الخديوية العلية

ثم اني اكرر عليك الشكر والثناء على ما تكرمت به من ارسال كتابك الجليل الخ

الملحق الثامن

لما كنت في مدرسة الحقوق الخديوية في سنة ١٨٨٤ بعثت الى جريدة الطبيب الغراء بلغز في (العبد) وقد نشرته في الجزء الخامس عشر الصادر في ٥ تشرين أول سنة ١٨٨٤ وقد أحببت ايراده هنا لما فيه من المناسبة مع هذا الكتاب

لغــــز

ماتقول فضلاء العرب البالغون من الادب أقصى الارب في اسم ثلاثي الحروف عند العرب والعجم معروف يوصف به الاحرار

الذين يدعون بخدمة الله والكنيسة ويجعلون مصالحهم وفوائدهم فوق ذلك كله وأنا على يقين من انه لاتقوم لهم بعد ذلك قائمة ولايبدون أدنى اعتراض وانى أكون لك شاكرا اذا تفضلت باتحافى بنسخة من بعد طبعه ولاشك ان ذلك يكون قريبا ان شاء الله وانى أشكرك على ذلك مقدما من جميع جوارحى

. . . .

. . . .

. . . .

وقبل أن اختم هذا الكتاب يلزمنى ان احيطك علما بأنى قد اطلعت باهتمام زائد على محاضر الجمعية الجغرافية الخديوية التى تكرمت بارسالها الىّ وخصوصا كتابك الذى بعثت به الى جريدة الاجيپسيان غازت فهو لايصح الجدال فيه مطلقا واذكر لك من هذا القبيل امرا قد وقع لى وهو ان الحكومة البرتغالية قدمت مذكرة على (الغاء الاسترقاق والنخاسة فى الاراضى البرتغالية) وقد جاء فيها من الاغلاط الفاضحة والاوهام الفاحشة انه « مع احتلال الانكليز القطر المصرى فما زال به سوق للارقاء وفيه يشترى الوالى نفسه واكابر البلاد وأغنياؤها الارقاء الذكور لتشغيلهم فى أعمال الفلاحة والطواشية لحراستهم والاماء لحريمهم » (فتعجب) ولكنى ابطلت ذلك ودحضته بالحجج والبراهين حتى ذهبت امثال هذه الاقوال

ادراج الرياح بحيث ان هذه الجملة قداسقطت هى وما يماثلها تلقاء احتجاجى الذى مزجت فيه بين الشدة والحق فلم يظهر لها أثر فى المجموعة النهائية المتضمنة اعمال المؤتمر وهذا أمر محتم على تحتيما لامناص لى من القيام به وقد اديته وفزت فى ذلك بالسعادة وانى لاكون ممتنا شاكرا اذا سنحت الفرصة فبلغت هذه الاحوال المسامع الخديوية العلية

ثم انى اكرر عليك الشكر والثناء على ماتكرمت به من ارسال كتابك الجليل الخ

الملحق الثامن

لما كنت فى مدرسة الحقوق الخديوية فى سنة ١٨٨٤ بعثت الى جريدة الطبيب الغراء بلغز فى (العبد) وقد نشرته فى الجزء الخامس عشر الصادر فى ٥ تشرين أول سنة ١٨٨٤ وقد أحببت ايراده هنا لما فيه من المناسبة مع هذا الكتاب

لغــز

ماتقول فضلاء العرب البالغون من الادب أقصى الارب فى اسم ثلاثى الحروف عند العرب والعجم معروف يوصف به الاحرار

والعبيد(١) ويطلق على افراد المواليد فتارة يدل على جماد وأخرى على نبات وطورا يذكر في الحيوانات وهو على ما قيل أشرف الاسماء. وقد اختار الايدعى بسواه بعض الادباء يوهب ويباع ويعد من المتاع وان كان بعض الانواع يحرم بيعه بالاجماع فان فتحت عينه أظهر لك الغضب والطاعة في الوقت والساعة فان شددتها مع ذلك ولى عنك ونأى بجانبه منك وهو بعد حذف الاخير منه نوع من الشرب منهي عنه وان حذف أوله فالخالك تجهله ذكره أبو الطيب في شعره فصدق في خبره اذ من نكد الدنيا على الحر واذا قتها له المر. ان تصحبه بعدو ألد مامن صداقته بد وان حذفت الوسط كان ما ذمه الغلط فان جئته بالتاء على طريق الالحاق كان عنوانا لايام الفراق وقد يدل على الاستعداد بعد ان دل على البعاد فيامن جنى لباب الآداب أعرب عن لغز لبس جلباب الظلام وظلام الجلباب أعانك الله في المبدا والمآب

أحمد زكي

---

(١) قال العلامة أحمد فارس الشهير في كتابه «الجاسوس على القاموس» في صحيفة ٢٥ ما نصه من الغريب انهم ذكروا للعبد خمسة عشر جمعا ولم يذكروا للحر الا جمعين ونحو من ذلك مجيء عدة مصادر لشنئه أي أبغضه مع ان العبد والبغض لا يستحقان هذا الاعتناء. وجاءت ألفاظ كثيرة مرادفة للكذب والباطل ولم يجئ للصدق والحق مرادف اه.

وقد ورد حله في العدد التالي

﴿لحضرة الاديب نجيب افندي حداد من بيروت الشام﴾

الغزت يا ذا الادب في العبد المعروف عند العجم والعرب فانه لفظ يوصف به الاحرار والعبيد في جنب سلطان ذي العرش المجيد وهو اسم للنصل القصير العريض ولنبت من رياحين الروض لاريض وقد عده بعضهم أشرف الاسماء في مقامات الحب والولاء حيث قال

لاتدعني الا ياعبدها * فانه أشرف أسمائي

فان فتحت عينه التي هي الباء وافق مصدر عبد بكسرها اذا غضب ووافق الطاعة من قولهم عبد الله اذا أطاعه طاعة من رغب أو رهب واذا زدته مع ذلك تشديدا جاء بمعنى الشرود من قولهم عبد تعبيدا وان حذفت آخره فهو العب وهو مكروه شربا لقوله في الحديث مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا وان حذفت أوله كان قافية لبيت احمد حيث أنشد

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى * عدوا له مامن صداقته بد

وان حذفت الباء بقي العد الذي يتقى به الغلط لان أخذ المعدود بالمجازفة لا يخلو من الشطط وان ألحقت به التاء فهو عدة أيام الطلاق التي يحل بها الفراق وبضم أوله يصير اسما للاستعداد والله أعلم وهو حسبنا في المبدا والمعاد

الملحق التاسع

لا يخفى أن القرآن الشريف قد ترجم الى أغلب اللغات الافرنكية كلها بل ان له فى بعضها ترجمتين وقد اتفقوا على ان أحسن ترجمة له بالنسبة لبقية التراجم هى الترجمة الانكليزية ثم الفرنساوية ولبعضه فى الالمانية ترجمة منظومة بالشعر أقول وقد استخدم الموسيو لابوم أحد علماء فرنسا الترجمة الفرنساوية التى عنى بها الموسيو كازمرسكى فرتب القرآن على نمط منطقى بحسب المواضيع خلاف الترتيب المعهود فجعل جميع الآيات التى لها علاقة وارتباط ببعضها فى باب واحد مثال ذلك جميع أحكام التوحيد وكل ما يتعلق به تراها بعددها وعدد سورها فى المصحف فى الباب الذى عنوانه (التوحيد) ومثلها كل ما يتعلق بالكرم والمروءة والقتال والديانات والقصص والطلاق والميراث والمعاملات وغير ذلك

وقد نقلت عنه جميع الآيات المختصة بالرق وبالخدمة وألحقتها بهذه الرسالة ليتيسر الرجوع الى التفاسير بكل سهولة واطلاع الطالب فيها على التفاصيل التى يريدها

هذه هى الآيات الواردة فى القرآن الشريف كلها بخصوص الرق والخدمة وعددها ٢٣ آية

السورة	الآية
سورة محمد ٤٧ - آية ٤	فَإذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى
« « « « « ٥	إذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا
« النحل ١٦ « « ٧٣	وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ

سورة النساء ٤ — آية ٤٠	وبالوالدين إحسانا و . . . . و . . . . . . وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا
« التوبة ٩ — « ٦٠	إنما الصدقات للفقراء و . . . و . . . وفي الرقاب . . . .
« النور ٢٤ — « ٣٣	. . . . . والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا .
سورة المجادلة ٥٨ — آية ٤	والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا
« « « « ٥	فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا

سورة البقرة ٢ - آية ٢٢٠	ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم
« النساء ٤ - آية ٢٨	و (حرمت عليكم) المحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم
	ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات ....
« « « - « ٢٩	.... فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان فإذا أحصن فإن أتين
« « « - « ٣٠	بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم ....

قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم لفروجهم حافظون	سورة المؤمنين ٢٣ - آية ١
إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين	« « - « ٦ «
والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين	سورة المعارج ٧٠ - آية ٣٠
أولئك في جنات مكرمون	« « « - « ٣٥
قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما	« الاحزاب ٣٣ - « ٥٠
لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام . . .	« المائدة ٥ - آية ٩١

سورة الزخرف ٤٣ - آية ١	... ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ...
« النور ٢٤ - آية ٣٢	وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله
« « « - « ٣٣	ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم

الملحق العاشر

ترجمة حياة الكردينال لافيجري

قد وقفت على فصول كثيره بشأن هذا الرجل والكلام عليه و بعضها بمدحه و بيان فضائله والآخر بذمه وذكر مثالبه وقد أحببت ان أورد شيأ من أقوال الطرفين لاحاطة القراء الكرام ليكونوا على بينة من أمره

كتب الموسيو شارل سيمون ترجمة حياة الكردينال لافيجرى فى صدر كراسة عنوانها «محاربة الاسترقاق» وهى الكراسة نمرة ٢٣٠ من ضمن الكراسات الاسبوعية التى تصدر باسم المكتبة الاهلية الجديدة *Nouvelle Bibliothèque Populaire*

قال فيها ما خلاصته

ولد شارل مارسيال المان لافيجرى فى مدينة بايون فى ٣١ اكتوبر سنة ١٨٢٥ وأراد أبوه أن يخرجه فى علم القوانين ولكن أمياله اتجهت الى الكهنوت فدخل بمدرسة سان سولبيس ثم عين استاذا للتاريخ الكنائسى فى مدرسة السوربون بعد ان نال رتبة الدكتورية فى اللاهوت واشتهر بفصاحة التعبير وحسن الالقاء .

ولما وقعت الفتن فى سنة ١٨٦٠ فى بلاد الشام أرسل فى مأمورية الى بلاد المشرق وفى سنة ١٨٦٣ عين أسقفا لمدينة نانسى فى فرنسا وبعد ذلك بأربع سنوات انشئت لاجله وظيفة رئيس الاساقفة فى مدينة الجزائر ومن ذلك العهد ظهرت أعماله وشاعت فضائله ولما انعقد مجمع رومه فى سنة ١٨٧٠ كان من أول القائلين بعصمة البابا وترشح للانتخاب بالنيابة عن مقاطعة البيرنات السفلى فلم ينجح وخاب خيبة سياسية أخرى فى الانتخابات التى وقعت سنة ١٨٧١ وفى عام ١٨٧٤ أسس ارسالية الصحراء والسودان ثم نظم طغمة الاباء البيض فى الجزائر وبعد ذلك فى طرابلس وفى تونس . وهو من أكابر رجال هذا العصر بل قليل منهم من تنجذب اليه النفس وتميل نحوه العواطف مثله وفى ملامحه اللطف والطيبة والثبات وهو من البلاغة والفصاحة بمكانة قل أن يناظره فيها غيره وقد أتى بكثير من الاعمال الخيرية التى تخلد له الشكر مدى الدهر وقد اكتسب رتبة الدكتورية فى الآداب وفى الحقوق وفى اللاهوت وهو من أفاضل الادباء وأكابر المحققين ولو أنه اشتغل بالامور الدنيوية لكان الآن متربعا فى أرقى المناصب وأسنى المراتب لانه جمع صفات السياسة والكياسة والدراية والتنظيم والترتيب وصدق العزيمة وثبات المقصد وغير ذلك من جميل الخلال

ولا تسل عما أتاه هذا الرجل من الاعمال لتقديم أفريقية فانه يجل عن الحصر و يكاد يغيب عن الذكر ولذلك فلا غرابة من أن العرب الذين قد خدمهم الكردينال خدما فائقة فى مدة القحط الذى وقع سنة ١٨٦٧ قد سموه المرابط الاكبر والولى الاعظم وجاهروا بأنه اذا كان غير المسلمين لابد من دخولهم جهنم (فى الكوشة) بنص القرآن فلا شك أن الكردينال لافيجرى مستثنى من ذلك وقد ساعد على توطيد أركان السلام فى تونس أكثر من جيش فيه ١٠٠٠٠٠ مقاتل

هذا هو رأى غامبتا وممايز يده اعتبارا أن غامبتا ما كان يخفى عداوته وكراهته للاعمال الكاثوليكية وقبل مجىء الكردينال لافيجرى الى تونس لم يكن بها مستشفيات ولا مدارس ولا تكايا للفقراء بل ولا مقبرة للنصارى فلم تمض سنتان حتى بدل الاوضاع وأذهب الاحقاد وهدأ الخواطر و جمع الكلمة وأسس كثيرا من العمائر الخيريه والوطنية والدينية وجمع لها المال اللازم بنفسه من افراد الناس وأقام فى جميع انحاء تونس بالتأسيس والعمارة والترميم والتعليم والتنظيم و بعث بالارساليات الدينية الى أواسط أفريقية وشاد كنيسة كتدرائية (جامعة) مؤقتة فى تونس فى ظرف ستين يوما فقط و بنى المدرسة الجميلة المعروفة بمدرسة سان شارل وأوجد جبانة وديرا فى مدينة تونس وأقام كنيسة كتدرائية فى قرطاجة وأكثر المدارس المجانية والمستشفيات والملاجئ الخيرية فى كل مكان وجال فى أقطار أفريقية كنهر يفيض بالخيرات والبركات ولكن الصنيع الذى يخلد ذكره على مدى الادهار هو مشروعه الفائق الفاخر الذى غايته منه احداث العقبات فى طريق النخاسين واشهاره الحرب العوان عليهم وقد فاز فى ذلك فوزا عظيما اذ جعل الملوك والامم تنضم الى لوائه فى هذا الجهاد ولهذا المقصد ألقى خطاباته الطنانة الرنانة التى سارت بذكرها الركبان فى جميع أقطار أوروبا وهى فى غاية البلاغة بما حوته من الافكار السامية والحقائق التى تتصدع لها الافئدة اه ملخصا

وقد رأيت فى معجم المعاصرين *Dictionnaire des contemporains* ماتعريبه

لافيجرى هو من أحبار فرنسا وقد تحصل على رتبة الدكتورية فى اللاهوت واشتهر فى التعليم وصار مدرسا للتاريخ الكنائسى فى مدرسة باريس العليا *Faculté de Paris* وقد وظف فى وظائف شرف كثيرة فى معية البابا برومة ثم بعد ذلك صار عضوا فى المجلس الامبراطورى للمعارف العمومية ثم عين رئيسا لاساقفة الجزائر فاسس فيها مدارس أيتام كثيرة وخصصها للاولاد لعائلات العربية التى برح بها الفقر وعضتها أنياب الاحتياج وقد حاول نشر الديانة النصرانية فيما بين أولاد أهالى الجزائر فناوته الحكومة الحربية فيها وعارضته معارضة شديدة استوجبت وقوع جدال هائل بينه وبين المارشال ماكماهون (سنة ١٨٦٨) وهو حائز لنشان اوفيسيه دولاليجيون دونور وله كتب ابتدائية وله كتب كنائسية

وقد اطلعت على أشياء كثيرة تخالف ذلك بالمرة ولو أن أغلب الساخطين على الرجل يعترفون بفضله وسع اطلاعه فمن ذلك خطبة ألقاها بمدينة شنتو *Cento* من أعمال ايطاليا فى يوم ٣٠ اغسطس سنة ١٨٩١ حضرة الاستاذ بالبونى المدرس الآن فى المدرسة الطليانية بمصر القاهرة فاستخلصت منها ما يأتى . قال فى سياق كلامه

لافيجرى يساعد على ازالة اطلال قرطاجنة وتبديد معالمها ليأخذ ما يجده فيها من المخلفات والآثار القديمة ويرسلها الى فرنسا وانه يسعى لنوال غاية سياسية مالية ولذلك استحوذ على الارض التى لارسالية الكبوشيين *Capucins* وقد تأسست هذه الارسالية فى مدينة تونس منذ ٣٠٠ سنة ثم طرد الاسقف سوتر ليأخذ مركزه لنفسه واجتهد

فى وضع يده على الارض المخصصة للمقبرة القديمة التى باسم سانت انطوان وهى ملك المستعمرة الكاثوليكية فى تونس ملكا مؤبدا ثم طرد من بقى من رهبان الارسالية المذكورة واستبدلهم بآخرين من الفرنساويين وطرده للكابوشيين من تونس ليس من السياسة فى شئ ولكنه عمل يخالف الادب والدين مخالفة فاضحة وقد اشتهر هذا الرجل فى علاقاته مع النساء بما ينافى قواعد الادب وواجبات الحشمة بالمرة ومازال الناس فى رومة يذكرون الاسم الذى أطلق عليه فيها أيام كان نازلا بها فى صباه فقد عرف عند الخاص والعام بأنه زير النساء *coureur de femmes* فى ميدان اسبانيا. وأنه ليطلب لنفسه أن يرتقى الى مقام البابوية فيكون أكبر أكابر النصرانية ويقال انه اذا نال هذه الغاية جعل مركزه فى أفريقية وجنوده من القساوسة الذين يقال عنهم انهم يسعون فى الغاء النخاسة قد أوغلوا فى الصحراء واقتربوا من أبواب بلاد التكرور (بلاد النجر) حيث تقع هذه التجارة حقيقة ولكن هناك أمر لا يفهمه الانسان فى أعمال هذا الكردينال التى يتخذها ضد الاسترقاق وذلك أنه يجتهد فى تحرير الارقاء فى البلاد الشاسعة القاصية على يد قسوس قد سلحهم بالبنادق والمدافع ومع ذلك نستغرب منه فى تونس التى نراه فيها خاملا مطلق التصرف يمكنه بكلمة واحدة تحرير عدد عديد من الارقاء والاماء وخصوصا الاماء فانهم مازالوا فى دور الاغنياء ومنازل الكبراء اذ أنه يترك الفخر فى البحث على انقاذ الارقاء فى الحاضرة (تونس) نفسها الى قنصل انجلترة وهو القادر على تمام ذلك من غير اتخاذ الرهبان المجندين ومن غير استعمال البنادق والمدافع ولا أقول ذلك جزافا بل اننى بنفسى أخذت من قنصلاتو انجلترة جارية من ضمن ٣٩ جارية أعتقها القنصلاتو مرة واحدة ولا شك أن أوروبا تجهل ذلك ولا فيجرى يسكت عمن يخبره بمثل هذه الامور ولا غرابة اذ أن تحرر الارقاء فى تونس لا يستوجب انفاق الدرهم والدينار ولا يستلزم جمع القناطير المقنطرة لاجل الاستحصال على الممالك الافريقية بحجة انقاذ الارقاء من ربقة الاستعباد

وقد قابلت كثيرين من الذين عرفوه أيام اقامتهم الطويلة بتونس فأخبروني عما يأتي بعضه

هذا الرجل يشتري الارقاء من أواسط أفريقية ثم يأتي بهم لتونس ومن هناك يرسلهم الى مالطة فيجبرهم على تغيير الاسلامية واعتناق الديانة النصرانية و بعد أن يعلمهم فيها و يصيرهم أساقفة يدعوهم « الآباء البيض » يبعث بهم الى أواسط أفريقية ثانية لاجل الزام أقرانهم واخوانهم بترك ديانتهم والاقتداء بهم في التمذهب بالنصرانية ـ وقد اشترى عربات لدفن الموتى وخيولا و بغالا ثم باع ذلك كله بأثمان باهظة الى القومسيون البلدي في تونس فاصاب من ذلك ربحا عظيما ـ ومما يحكى عنه أيضا أنه منذ ستة أو سبعة سنوات كان له كروم يقوم بها رجل من الفلاحين و يعتني بشأنها فطرده و وضع قسيسا في محله ولجهل هذا بأمور الزراعة والعناية بالكرم فسد العنب ولم يأت بالخمر المعتاد الحصول عليه فغضب لافيجري على القسيس المنفلح وعاقبه بعقوبة غريبة اذ ألزمه برعي الغنم والمواشي في ضواحي سيدي بوسعيد في المرسى ـ وأسس مدرسة سان شارل ثم باعها للحكومة في تونس بربح عظيم جدا وله في الجزائر مزروعات من الخرشوف والكروم يستغلها كانه رجل من الاهالي ليس منقطعا للدين وخدمته

وأهم المزايا التي في هذا الرجل أنه على درجة عظيمة من الفهم والعرفان وأنه متحصل على رتبة الدكتورية في اللاهوت والطب والحقوق والعلوم والفلسفة واذا خطب خلب الالباب وتملك العقول ولعب بالافكار كيفما شاء وفي وجهه سماحة وبشاشة تغر الانسان ولا تخبرانه عما انطوى عليه من سوء المقاصد ورذيل السجايا ـ والحق انه تاجر لا خادم للديانة ـ واذا عاداه أحد أشهر عليه الحرب العوان و واصل عليه الطعان حتى لا يكون له مخلص منه ولا مناص وقد أرسل رجلا من أشياعه الى مالطة وعينه في وظيفة دينية على شرط انه يخصص له نصف وظيفتها ودخلها فتم الامر ولكن الرجل كان معه تعليمات سياسية أخرى فلم يتبصر في كيفية انفاذها ومما يدل على

ذلك أنه قام ذات يوم على مائدة جمعت كثيرا من الناس ثم رفع الكاس قائلا لتحيي الجمهورية الفرنساوية فطردته الحكومة الانكليزية منها

وقد رويت لي أشياء كثيرة اجتزئ عنها ففيما سبق كفاية

هذا ما كتبه حضرة الفاضل المحترم الرئيس محمود أفندي أنيس ملتزم طبع الكتاب

الحمد لله على منن أسداها وأسناها ومنح أولاها ووالاها والسلام على نبيه أقوم وسائل السعادة وأقواها وعلى آله شموس العرفان في رأد ضحاها وأصحابه نجوم الهداية في سعود مجراها

وبعد فقد اتصل بنا منذ حين عن بعض الغربيين من دعاة محق الاسترقاق المبتلاة به أفريقية من ذاهب الاعصار أنهم جنوا على الدين الحنيفي فألصقوا به مستنكرات ما وصفوا من ذلك وما هو لوابه ولزوها من دعواهم في جملة أصوله وقواعده ومن هذه تسلقوا الى قدح وتشنيع فكنا لا نقرع أسماعنا قارعة من هذه المفتريات إلا ولهت نفوسنا الى نهضة حر حمي الانف من ذادة هذا الدين القويم يثور للحق بآياته فيدمغ الباطل ويكشط التهمة ويجلو ظلم العمايات بنور اليقين والا فقدفقأ بأصابع البينات عيون المكابرين ودرجت أيام وتلك الاماني بحالها في النفوس حتى وقع في خاطر هذا العاجز أن يكاشف بالمسئلة أحد الاجلة من أولئك السادة الذادة دفاعا عن الحوزة وأنفة للملة واذا قد قيل ان الله تعالى خص بفضل هذه الخدمة الشريفة كريما من الاماثل أبيا وهو حضرة الهمام أحمد شفيق بك كاتم أسرار نظارة الخارجية تجرد للدفاع بعزم مذكور فأوقع بتلك الاباطيل دحضا وتزييفا وبين مكان الرقيق عند المسلمين وعند سواهم من الامم منتقيا للادلة من وجوهها المعتبرة مستثيرا للحقائق من مكامنها الصحيحة وجلا الحق في صورته الحسناء وكتب ما كتب باللغة الفرنساوية

ليَنظره أولئك الغربيون فيعرفوا أية الامم كانت بالموالى أبرّ وأرفق ولسان شريعتها عواساتهم ألين وأنطق وأنه قد ابتدر هذا السفر الجليل ذلك البليغ الفاضل أحمد زكى أفندى مترجم مجلس النظار فأخرجه الى اللغة الشريفة العربية مُخرج صدق مصوغا من البلاغة فى أجمل قوالبها وأجل مراتبها وأجلى أساليبها ومذاهبها وعلّق عليه حواشى حافلة ترفعه الى تعزيز الكمال وتقريب المنال وتم بذلك لحضرته منة تقرن الى مترادف مننه على أبناء ملته فطالما أرانا مع تلك الشبيبة والفتوة قواما بنشر الحقائق ونصرها وولوعا بايقاظ الهمم وانهاضها أبلغ الله تعالى به وأمتع فما كان أطيب هذا الخبر وأزكاه وقد رجوت أن يكون لى سهم فى ذلك العمل المبرور فالتمست من المؤلفين الكريمين أن يهبا لى طبعه لابثه فى الناس فطوقانى حفظهما الله عنة الاجابة الى السول وأصبحت الثالث المعزز أو المحب المتتبع نسأله تعالى حياطتهما ورعايتهما انه لا يضيع أجر المحسنين والعاقبة للمتقين

محمود أنيس

﴿يقول خادم تصحيح العلوم بدار الطباعة العامرة ببولاق مصر القاهرة الفقير الى الله تعالى محمد الحسينى أعانه الله على أداء واجبه الكنانى والعينى﴾

سبحان من أعتق من رق الشهوات النفسانية خلص عبيده وجملهم بحلل الاحرار وحلاهم بحلى الابرار فانتهضوا لنصر الحق وتأييده نحمده سبحانه على ماهدانا ونشكره على ماأولانا (ونصلى ونسلم) على نبيه الاكرم ورسوله السيد السند الاعظم سيدنا ومولانا محمد الذى ختم الله به الرسالة وأنقذ به من الجهالة وهدى به من الضلالة وعلى آله وصحبه ومحبيه وحزبه (أما بعد) فلما اصطفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم من جميع خلقه بشيرا ونذيرا وداعيا اليه باذنه وسراجا منيرا أنزل عليه كتابه المتين وقرآنه المستبين فأعجز المعارضين وقطع المعاندين بين الحلال والحرام وأوضح منار الاسلام لم يدع من أمر الملة الحنيفية السمحة صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ولم يترك غامضة من أسرار هذه الشريعة المطهرة وحكمها الدقيقة ولطائفها الباهرة الا تضمنها واستقصاها واستبان كثير من اشاراته بالسنة النيرة والاحاديث القدسية والنبوية المؤيدة المحررة فالكتاب والسنة أساس هذا الدين القويم وعماد هذا الصراط المستقيم اشتملا من دقيق الحكم على ماتقصر دونه العقول يامن يتفهمهما

ومن لطائف الاسرار على مالا تحيط به النقول يامن يتأملهما
ويعقلهما فغاصت الفضلاء فى بحورهما واستخرجوا من درّهما
حتى تلألأت قلوبهم بما عثروا عليه ووصلت يدهم اليه وانتهلوا
من صافى لججهما وابتهجوا بالتمسك بمنبلج حججهما اذ أشرقت فى
نفوسهم شموس الحق اليقين فأدحضوا حجج المتمردين والمكابرين
وغير خاف أن الحق أبلج والتمسك به لذوى العقول أنجح وأبهج
وقد قيض الله سبحانه فى كل قرن لهذا الدين من يذب عنه ويكبح
الرادين عليه والمنكرين ولعمرى لو انجلت من هؤلاء المعارضين
والمعاندين والمكابرين مرآة العقول وتركوا عصبية النفوس
وسلكوا طريق الانصاف وتأملوا مع التدبر ماورد فى كتب هذا
الدين من معقول ومنقول لأذعنوا للحق وعرفوا حقيقة الحال
ورفضوا كلمة الشقاق والمراء والجدال ولكن لوشاء ربك لجعل
الناس أمّة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك * ولما جرت
فى هذه الاعوام باوروپا حادثة التكلم فى شأن الرقيق وطعن بعض
الناس بذلك فى الشريعة الاسلامية بما لايليق ومن أعجب العجب
أن يطعن انسان فى شيء وهو يجهله ويقدح فى أمر وهو لايعقله
انتدب للردّ عليه وفوّق سهام الانتصار اليه من حلاه الله بين
اخوانه بحلية الادب ووهب له من أكمل العقل والذكاء والفطنة
فأجزل ماوهب نسيج وحده كمالا ولطفا وفريدة عقده نجابة وظرفا

من هو بأجمل الثناء عليه حقيق حضرة أحمد بك شفيق السكرتير الخاص بالخارجية المصرية الاهل لكل رتبة سنية فانه حفظه الله ألف فى ذلك باللغة الفرنساوية رسالته التى أرسلت ثواقب الشهب وكشفت لكل بصير عن وجه الحق فى هذه المسئلة غواشى الحجب وكانت فى هذه المعنى أنموذجا لغيرها من الكتب

بديعة صدعت بالحق قائلة * يامن يكابر أنصف فالصواب بدا
انظر تر الملة الغراء مسفرة * عما تكابر فيه تستفد رشدا
وارجع الى الحق واترك ماتحاوله * من المراء تنل بين الانام هدى
ان الرجوع الى الانصاف محمدة * وأربح الناس عقلا من اليه غدا

جزاه الله عن جميل هذا السعى أجمل الجزاء وأجزل له فى دار الثواب جليل الحباء فانتهض لتعريب هذه الرسالة وأبرز لنا مااحتوت عليه من المحاسن والجمالة المنطيق الذى لايعثر له قلم ولا يتلعثم له مقول ومن اذا خط حبر واذا فاه سلب الالباب وحير بما فصل وأجمل الذكى الالمعى النحرير النبيه النبيل ذو القدر الخطير حضرة أحمد افندى ذكى مترجم أول مجلس النظار أتقن حفظه الله نسجها على أحكم منوال وأبدع طرازها على أجمل مثال ولما كانت فريدة فى خدرها وسطعت من خلال سجفها أشعة بدرها فاشتاقتها النفوس واستجلتها استجلاء العيون العروس بادر الى

طبعها رغبة فى عموم نفعها الجناب الامجد والهمام الاسعد
من ينعش بفكاهة حديثه كل سمير وجليس حضرة محمود افندى أنيس
بالمطبعة العامرة ببولاق مصر القاهرة فبرزت بحمد الله محجبة
بهذا الجمال متبرجة فى حلة البهاء والدلال ۞ فى ظل الحضرة
الفخيمة الخديوية والعواطف الرحيمة العباسية حضرة المليك الاكرم
والخديو الاعظم الجامع بين طارف المجد وتالده والمشيد لاركان
الخديوية على قواعد جدّ جدّه ووالده سلالة السادة السراة الاماجيد
وخلاصة الملوك الصناديد عزيز الديار المصرية وحامى حمى حوزتها
النيلية الذى بلغت رعيته بيمن طلعته من هنىّ الخير جميع الامانى
أفندينا المعظم عباس باشا حلمى الثانى أدام الله لنا أيامه ووالى
على رعيته برّه وانعامه ملحوظا هذا الطبع اللطيف والشكل
الظريف بنظر من عليه جميل طبعه يثنى حضرة محمد بيك حسنى
وكان تمام هذا الطبع وكمال هذا الينع فى أوائل
رجب الحرام سنة تسعة وثلثمائة وألف من هجرة
سيد الانام عليه وعلى آله وصحبه أفضل
الصلاة وأتم السلام ماانبلج صبح
وانكشف غمام

فهرست الكتاب

صحيفه

الباب الثالث

الاسترقاق فى الأزمان الحديثة

الباب الرابع

الاسترقاق فى الديانة النصرانية

الباب الخامس

الاسترقاق عند أهل الاسلام

الباب السادس

ملحقات الكتاب للمترجم

فهرست

بعض المواضيع المشروحة فى الحواشى للمترجم

الحاء تدل على الحاشية والرقم تحتها يدل على عددها

زيادات

(حاشية ٢٢ صحيفة ٢١) ويسمى فى كتب العرب القديمة أفلوطرخوس (انظر كتاب التنبيه والاشراف للمسعودى) وقد ترجمه دوساسى الى الفرنساوية وهو مطبوع فى آخر ترجمة مروج الذهب (جزء ٩) التى عنى بها العلامة باربيه دومينار

(حاشية ٢٥ صحيفة ٢٣) وقد رأيت فى صحيفة ٢٢٦ من الجزء الاول من الانس الجليل بتاريخ القديس والخليل على مانصه « والبطريق هو الامير والبطرك هو الكاهن » وعثرت فى الكتبخانة الخديوية على كتاب جليل بخط اليد اسمه (المواهب الاحسانية فى ترجمة الفاروق وذريته) للفاضل حسين بن عبد اللطيف بن محمد العمرى القادرى الدمشقى فرأيت فى صحيفة ٢٦١ مانصه « والبطريق الامثل وأما البطرك فهو الكاهن »

(صحيفة ٣٥) أطلق الافرنج لفظة الاسود على هذا القانون استهانة بالرقيق واذلالا لهم كما أفادنى حضرة المؤلف حفظه الله

(حاشية ٩٦ صحيفة ٨١) أبو بكر هو أول الخ

(حاشية ١٠٩ صحيفة ٩٩) الخصى مابور الذى أرسله المقوقس الى النبى صلى الله عليه وسلم

تصحيحات

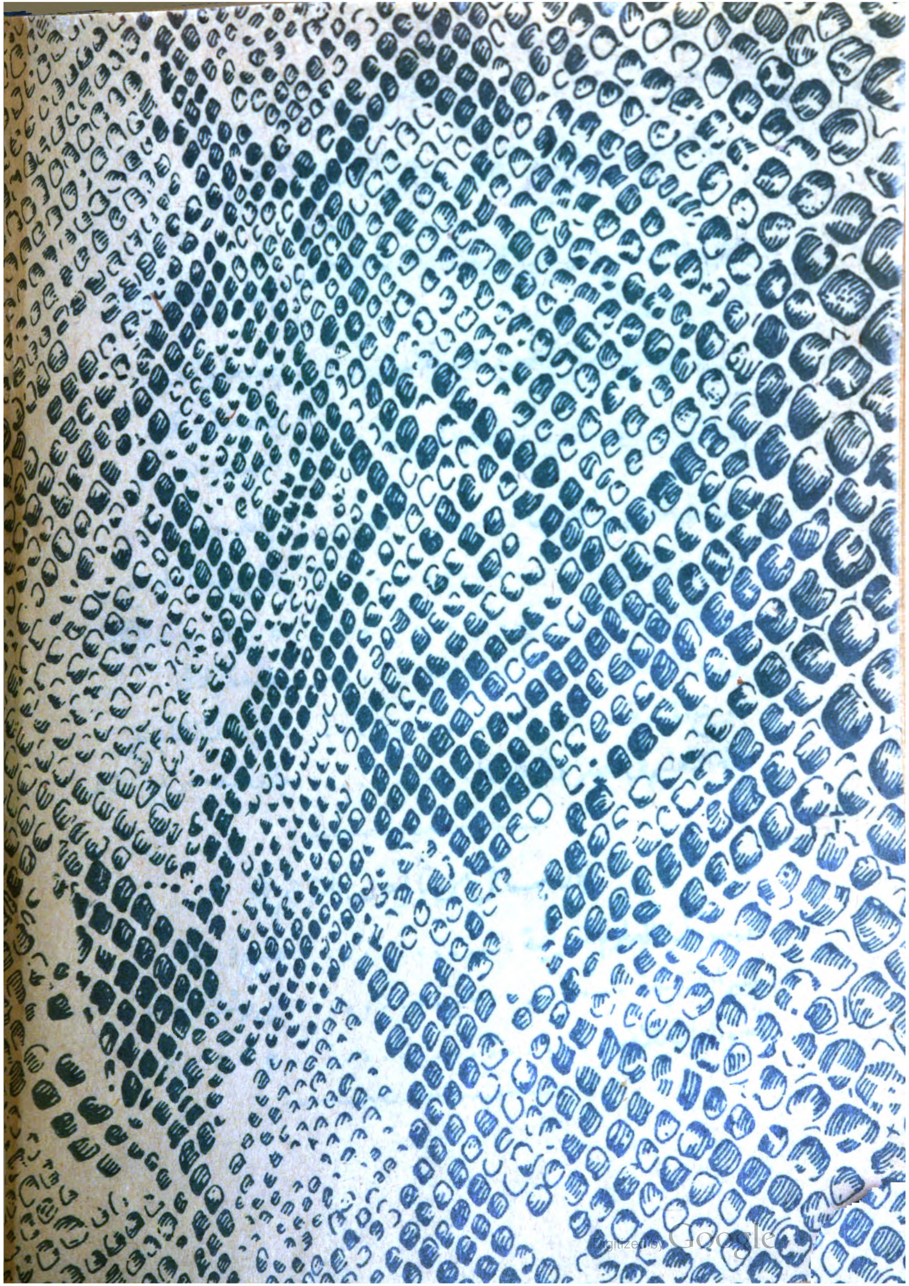
صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٣	٣	أوقات	أوقاتا
٤٧	٩	*Timothée*	*Tite*
٧٢	١٨	وسيئ	وسئ
٧٢	١٨	يسيئ	يسيء
٧٧	١٣	متصعب	متعصب
٧٧	١٣	واقصد	قصدوا
٧٧	٢٢	بامرائه	بامرائه
٧٩	٧	مؤلاه	مولاه
٧٩	١٤	نالزحف	بالزحف
٧٩	١٥	لابي بكر	لابي بكر
٧٩	١٧	بعرله	بعزله
٧٩	١٧	أبو بكز	ابو بكر
٩٠	٢	الحطاب	الخطاب
٩٤	١٦	الحلافة	الخلافة
٩٨	٤	المسلمين يعتقون	المسلمين كانوا يعتقون
٩٨	١٢	قائدا الجيش	قائدا في الجيش
١٠١	٨	طريقتها	طريقها
١١٠	١٤	لقاه	ألقاه
١١١	١٥	ونصوصها	نصوصها
١١٤	١٢	جوسناف	جوستاف
١١٨	٣	ارتور روني	ارتورروني
١١٨	٧	واذا كان	واذ كان
١٢٧	٢	الاوبسرافوتور	الاوبسرفاتور
١٢٧	١٧	الاتعاب	الألقاب

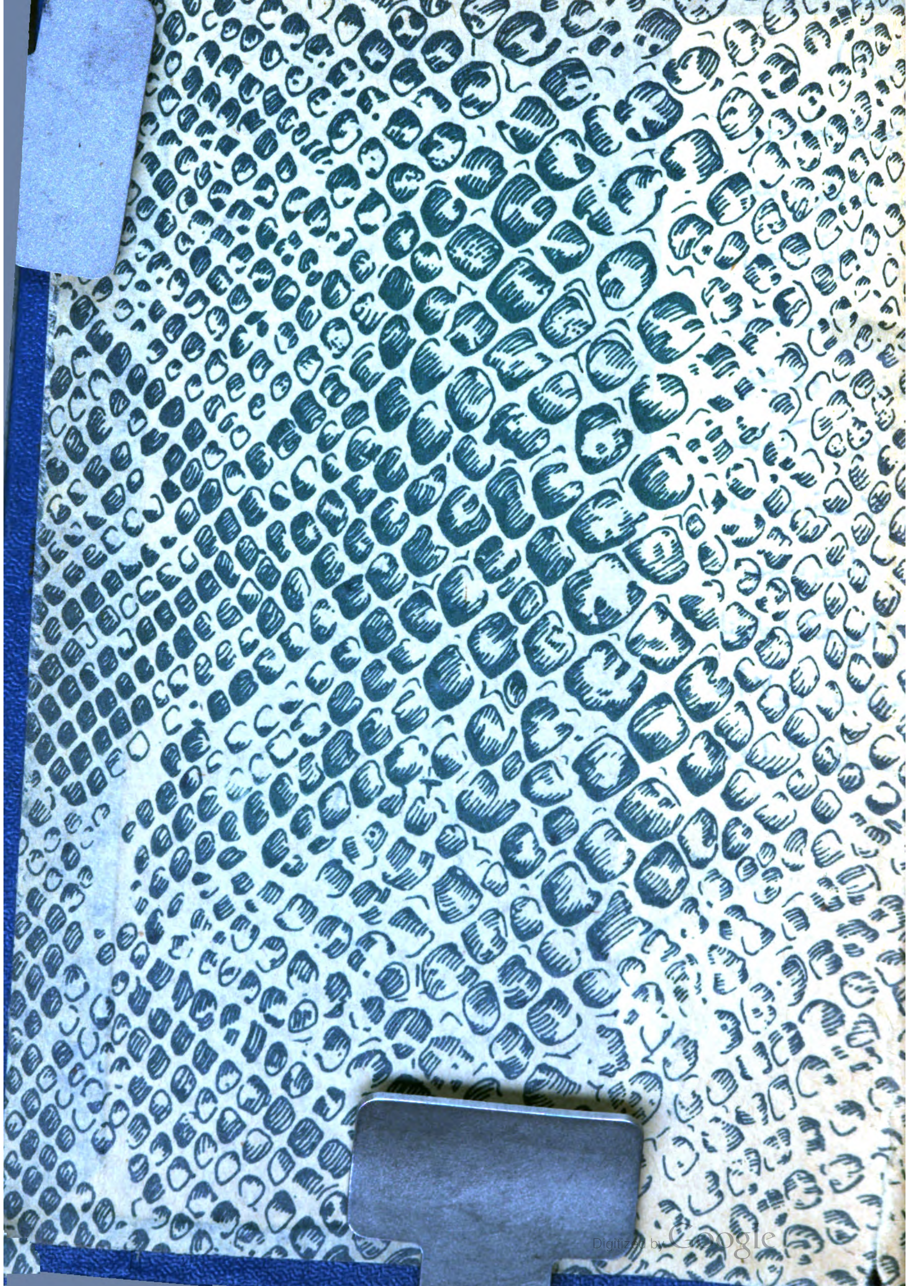
(بيان الكتب التي ترجمها المترجم)

الاربعة عشر يوما سعيدا فى خلافة عبد الرحمن الناصر الاندلسى	بمطبعة البيان
نتائج الافهام فى تقويم العرب قبل الاسلام ...	بمطبعة بولاق
رسالة فى المعارف العمومية بالديار المصرية	بمطبعة فرنكو اجميسيان
رسالة فى التقويم العبرى	لم تطبع
توفيق التقاويم	على وشك الطبع
مصر والجغرافيا	« « «
الرق فى الاسلام	بمطبعة بولاق
تاريخ المشرق	على وشك الطبع
حالة التعليم فى مصر والبلجيكا	جارى طبعه بجريدة الازهر

(رسائل من تأليف المترجم)

موسوعات العلوم العربية	طبع فى بولاق
أسرار الترجمة	على وشك التمام
أحوال الكلاب	« « «





(بيان الكتب التي ترجمها المترجم)

الاربعة عشر يوما سعيدا فى خلافة عبد الرحمن الناصر الاندلسى	بمطبعة البيان
نتائج الافهام فى تقويم العرب قبل الاسلام ...	بمطبعة بولاق
رسالة فى المعارف العمومية بالديار المصرية	بمطبعة فرنكو اجيبسيان
رسالة فى التقويم العبرى	لم تطبع
توفيق التقاويم	على وشك الطبع
مصر والجغرافيا	« « «
الرق فى الاسلام	بمطبعة بولاق
تاريخ المشرق	على وشك الطبع
حالة التعليم فى مصر والبلجيكا	جارى طبعه بجريدة الازهر

(رسائل من تأليف المترجم)

موسوعات العلوم العربية	طبع فى بولاق
أسرار الترجمة	على وشك التمام
أحوال الكلاب	« « «

فهرست الكتاب

الرق فى الاسلام

الباب الاول

الاسترقاق فى الازمان القديمة

الباب الثانى

الكلام على الاسترقاق فى القرون الوسطى

الباب السادس

ملحقات الكتاب للمترجم

فهرست

بعض المواضيع المشروحة فى الحواشى للمترجم

الحاء تدل على الحاشية والرقم تحتها يدل على عددها

زيادات

(حاشية ٣٢ صحيفة ٢١) ويسمى فى كتب العرب القديمة أفلوطرخوس (انظر كتاب التنبيه والاشراف للمسعودى وقد ترجمه دوساسى الى الفرنساوية وهو مطبوع فى آخر ترجمة مروج الذهب (جزء ٩) التى عنى بها العلامة باربييه دومينار

(حاشية ٣٥ صحيفة ٢٣) وقد رأيت فى صحيفة ٢٢٦ من الجزء الاول من الانس الجليل بتاريخ القديس والخليل على مانصه «والبطريق هو الامير والبطرك هو الكاهن» وعثرت فى الكتبخانة الخديوية على كتاب جليل بخط اليد اسمه (المواهب الاحسانية فى ترجمة الفاروق وذريته) للفاضل حسين بن عبد اللطيف بن محمد العمرى القادرى الدمشقى فرأيت فى صحيفة ٢٦١ مانصه «والبطريق الامثل وأما البطرك فهو الكاهن»

(صحيفة ٣٥) أطلق الافرنج لفظة الاسود على هذا القانون استهانة بالرقيق واذلالا لهم كما أفادنى حضرة المؤلف حفظه الله

(حاشية ٩٦ صحيفة ٨١) أبو بكر هو أول الخ

(حاشية ١٠٩ صحيفة ٩٩) الخصى مابور الذى أرسله المقوقس الى النبى صلى الله عليه وسلم

تصحيحات

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٣	٣	أوقات	أوقاتا
٤٧	٩	*Timothée*	*Tite*
٧٢	١٨	وسيئ	وسيء
٧٢	١٨	يسيئ	يسيء
٧٧	١٣	متصعب	متعصب
٧٧	١٣	واقصد	قصدوا
٧٧	٢٢	بامرائه	بامرائه
٧٩	٧	مولاه	مولاه
٧٩	١٤	بالزحف	بالزحف
٧٩	١٥	لابي بكر	لابي بكر
٧٩	١٧	بعزله	بعزله
٧٩	١٧	أبو بكر	ابو بكر
٩٠	٢	الخطاب	الخطاب
٩٤	١٦	الخلافة	الخلافة
٩٨	٤	المسلمين يعتقون	المسلمين كانوا يعتقون
٩٨	١٢	قائدا الجيش	قائدا في الجيش
١٠١	٨	طريقتها	طريقها
١١٠	١٤	لقاه	ألقاه
١١١	١٥	ونصوصها	نصوصها
١١٤	١٢	جوسثاف	جوستاف
١١٨	٣	ارتور روني	ارتور روني
١١٨	٧	واذا كان	واذ كان
١٢٧	٢	الاوبسرافونور	الاوبسرفاتور
١٢٧	١٧	الاتعاب	الألقاب

(بيان الكتب التي ترجمها المترجم)

الاربعة عشر يوما سعيدا فى خلافة عبد الرحمن الناصر الاندلسى	بمطبعة البيان
نتائج الافهام فى تقويم العرب قبل الاسلام ...	بمطبعة بولاق
رسالة فى المعارف العمومية بالديار المصرية	بمطبعة فرنكو اجيبسيان
رسالة فى التقويم العبرى	لم تطبع
توفيق التقاويم	على وشك الطبع
مصر والجغرافيا	« « «
الرق فى الاسلام	بمطبعة بولاق
تاريخ المشرق	على وشك الطبع
حالة التعليم فى مصر والبلجيكا	جارى طبعه بجريدة الازهر

(رسائل من تأليف المترجم)

موسوعات العلوم العربية	طبع فى بولاق
أسرار الترجمة	على وشك التمام
أحوال الكلاب	« « «

